

**امير المؤمنين (عليه السلام)**

**واعادة بناء المجتمع الصالح**

**الباحث السيد عبد الستار الجابري**

بحث مشارك في المؤتمر العلمي الثاني لاهياءتراث امير المؤمنين (عليه السلام) الموسوم بـ  
(البعد الاداري وقواعد الحكم الرشيد في تراث الامام علي (عليه السلام) الذي يعقده مركز مرايا  
للدراسات والاعلام برعاية العتبة العلوية المقدسة ومسجد الكوفة المعظم وبالتعاون مع كلية  
الاداب وكلية الادارة والاقتصاد في جامعة الكوفة

## اهداء

الى سيدي ومولاي امير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين  
اقدم هذا الجهد المتواضع والبضاعة المزجاة  
املا من فيض كرمه التفضل بالقبول

## المقدمة

بناء الفرد والمجتمع من الاولويات في جميع الرسالات السماوية، وحظيت باهمية كبرى في كتب  
الفلاسفة والمفكرين الزعماء والقادة.

..... امير المؤمنين عليه السلام.....عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

والدين الاسلامي الحنيف باعتباره خاتمة الاديان وشريعته خاتمة الشرائع، فانها بلا شك قد لوحظ فيها اقصى ما يمكن ان يصل اليه المجتمع الانساني والسبل الكفيلة للنهوض به ليلبغ اعلى درجات الكمال بعد ان قطع شوطاً طويلاً منذ وجود الانسان الاول على الارض والى يومنا هذا.

وقد نهض النبي (صلى الله عليه واله) بمسألة البناء الانساني على صعيد الفرد والمجتمع، وضرب للانسانية اروع الامثلة حتى جعل القران الكريم من النبي (صلى الله عليه واله) الاسوة والقدوة التي يتعين على الانسان المسلم اتباعها لتحقيق رضا الرب تبارك وتعالى.

الا ان المشكلة في الواقع الاجتماعي للمسلمين انهم لم يبلغوا الدرجة المطلوبة من الكمال ولم يتمكنوا من الانطلاق من اسر هوى النفس، فمروا بانتكاسة عظمية بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) وكاد ان تعفى القيم الدينية، تماما كما حصل في بني اسرائيل بعد رحيل موسى (عليه السلام) والصفوة الصالحة من الانبياء وظهر الملوك المتتمرون على الامة واوسعوا الامة ظلما وعدوانا ولم يسلم منهم حتى الانبياء، وكما كان لانبياء بني اسرائيل دور مهم في العمل على اعادة الامر الى نصابه كما تحقق على يد داود وسليمان (عليهما السلام) كذلك كان الحال في الامة الاسلامية في عهد امير المؤمنين (عليه السلام).

والسؤال الاصل في الذي حاول هذا البحث الاجابة عنه هو ما هو دور امير المؤمنين (عليه السلام) في اعادة بناء المجتمع المسلم وما هي الطرق التي سلكها في سبيل ذلك.

وللاجابة على هذا التساؤل كان لابد من الوقوف على المبنى الاجتماعي في الاسلام، وعلى النكسة التي تعرض لها المجتمع المسلم بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله)، ولذا وقع هذا البحث في تمهيد وثلاث مباحث وخاتمة.

في التمهيد تم تناول المجتمع الانساني قبل البعثة النبوية المطهرة.

وفي المبحث الاول تم التطرق للمباني الاجتماعية في الاسلام.

وفي المبحث الثاني تم تناول واقع المجتمع الاسلامي بعد فتح مكة.

وفي المبحث الثالث تم تناول اعادة بناء البنية الاجتماعية للمجتم المسلم في دولة امير المؤمنين (عليه السلام)

..... امير المؤمنين عليه السلام.....عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

نسال الله تعالى ان نكون قد وفقنا في هذا البحث في تسليط الاضواء على هذا الجانب في الحياة العملية لمولانا امير المؤمنين (عليه السلام).

والله من وراء القصد

**تمهيد**

المجتمع قبل الدولة النبوية

..... امير المؤمنين عليه السلام.....عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

قبل ظهور الدولة النبوية المطهرة كان المجتمع الانساني منقسما على اساس الدين الى عدة مجتمعات.

المجتمع الاول هو مجتمع الديانات التوحيدية وهم النصارى واليهود ويلحق بهم المجوس وكانت المجوسية والنصرانية هي المجتمعات الحاكمة لاكثر المنطقة المعمورة في الكرة الارضية حيث كانت النصرانية هي دين الغالبية في اليمن وبعض مناطق الجزيرة العربية وبلاد الشام وشمال افريقيا واوربا وبلاد الروم وروسيا، كما كانت المجوسية هي الديانة الغالبة على بلاد فارس الممتدة من حدود الشام الى الصين وشمال القارة الهندية.

وحيث ان البوذية يحتمل فيها انها كانت ذات جذور واصول توحيدية فانها كذلك كانت تمتد في شرق الارض وهي ما يمثل اليوم الصين واليابان والكوريتين وقسم من بلاد الهند.

المجتمع الثاني مجتمع الديانات الارضية وكان ينتشر في الهند وجزيرة العرب وقلب افريقيا حيث انتشرت في الهند العديد من الديانات مضافا الى البوذية والنصرانية وانتشر الشرك في القبائل العربية وقبائل افريقيا.

توالت على جزيرة العرب العديد من المراحل التي اسهمت في ظهور تقاليد واعراف اجتماعية متعددة على مر الفترات الزمنية التي عاشها المجتمع.

المتتبع للسير التاريخي في الفترة التي عاشها النبي ابراهيم (عليه السلام)<sup>1</sup> لمجريات الاحداث في جزيرة العرب يكاد ان يطمأن في ان مجتمع الجزيرة في الفترة الممتدة بين ما بعد طوفان نوح (عليه السلام) وعهد النبي ابراهيم (عليه السلام) كانت عقيدة التوحيد هي العقيدة السائدة فيه، ويشهد لذلك سرعة قبولهم لدين النبي ابراهيم (عليه السلام) وامثالهم لأوامره في الطواف حول البيت واداء مناسك الحج بعد ان رأوا الكرامة الالهية في انباع ماء زمزم تحت قدمي اسماعيل (عليه السلام).

---

<sup>1</sup> والتي تمثل فترة ظهور الحضارات في ارض وادي الرافدين ووادي النيل، حيث في هذا العصر كانت مملكة النمرود تحكم بلاد ما بين النهرين وشرق الارض ويمتد نفوذها الى جزيرة العرب، فيم كانت تحكم بلاد مصر مملكة اخرى تعيش صراعا دائما مع ملوك بابل

كما ان الاحداث التي تشير اليها حركة القبائل العربية بين اليمن والجزيرة وانتقال اهل اليمن تحت ظروف المجاعة وسوء الاحوال الاقتصادية الى جزيرة العرب وسكانهم مكة والمدينة ونزوحهم الى العراق وبلاد الشام كاشف اخر عن تلك الحقيقة، اذ ان القبائل التي سكنت الشام والعراق وهم الغساسنة والمناذرة<sup>2</sup> كانت اخر ديانة اعتنقوها هي النصرانية على الرغم من اعتناق الفرس المجوسية واختلاف الديانات التي حلت بارض الشام من الوثنية الى اليهودية ثم النصرانية.

كما تشير الاحداث الى ان خزاعة بعد قهرهم لجرهم ادخلت الوثنية الى بلاد العرب ونصبت الاوثان حول الكعبة وتأثرت القبائل العربية الصحراوية بما قامت به خزاعة ودخل الشرك رويدا رويدا في معتقداتهم الدينية<sup>3</sup>، في الوقت الذي كانت الديانات التوحيدية تحيط بالجزيرة العربية، حيث كانت اهل اليمن على النصرانية بعد ان كانوا على اليهودية، وكان الفرس مجوسا يعتقدون بالوحدانية وكان الروم نصارى، كما كانت جملة من القبائل العربية تعتنق الديانة النصرانية كقبيلة كلب ونصارى نجران الذين نزلت فيهم اية المباشلة، وكانت القبائل اليهودية موزعة بين اليمن ويثرب وبلاد الشام.

لقد كان للتغير العقائدي في جزيرة العرب والانتقال من التوحيد الى الوثنية مضافا الى الارث الاجتماعي المنتقل عبر الاجيال وللظروف الاقتصادية والامنية الصعبة التي كان يعيشها البدو واهل الحواضر في المنطقة اثر مهم في ظهور قيم واخلاقيات متأثرة كثيرا بطبيعة من له حق التشريع في منطقة اختفت فيها معالم الدولة وسيطرت عليها القدرات القبلية.

2 كلا من الغساسنة والمناذرة من القبائل اليمانية - من الجرهميين- التي هاجرت من سبأ فسكن بعضهم مكة واخرون يثرب وتوجه قسم منهم الى العراق وقسم اخر الى بلاد الشام، انظر بحار الانوار:14/147 عن مجمع البيان ينقل عن الكلبي قصة تفرق اهل سبأ لما جاءهم سيل العرم.

3 انظر تاريخ اليعقوبي:1/197، عنوان اديان العرب ويشير هناك الى ان اديان العرب متأثرة بالمجاورة وان عمرو بن لحي الخزاعي هو اول من ادخل الوثنية الى بلاد العرب. قال في ص254(وخرج عمرو بن لحي ، واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، الى ارض الشام ، وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها ، نستنصرها ، فننصر ، ونستسقي بها ، فنسقى ، فقال : ألا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، عند بيت الله الذي تفد إليه العرب ؟ فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة ، فوضعه عند الكعبة ، فكان أول صنم وضع بمكة ، ثم وضعوا به إساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من أركان البيت ، فكان الطائف ، إذا طاف ، بدأ بإساف ، فقبله ، وختم به ، ونصبوا على الصفا صنما يقال له مجاور الريح ، وعلى المروة صنما يقال له مطعم الطير ، فكانت العرب إذا حجت البيت ، فرأت تلك الأصنام ، سألت قريشا وخزاعة ، فيقولون : نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى ، فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناما ، فجعلت كل قبيلة لها صنما يصلون له تقربا إلى الله ، فيما يقولون ، فكان لكل بن وبرة واحياء قضاة ود منصوبا بدومة الجندل ، بجرش ، وكان لحمير وهمدان نسر منصوبا بصنعاء ، وكان لكنانة سواع ، وكان لغطفان العزى ، وكان لهند وبجيلة وخثعم ذو الخلصة ، وكان لطى الفليس منصوبا بالحبيس ، وكان لربيعة وإباد ذو الكعبات بسنداد ، من أرض العراق ، وكان لتقيف اللات منصوبا بالطائف ، وكان للأوس والخزرج مائة منصوبا بفنك ، مما يلي ساحل البحر ، وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين ، ولبنى بكر بن كنانة صنم يقال له سعد ، وكان لقوم من عذرة صنم يقال له شمس ، وكان للأزد صنم يقال له رثام ، فكانت العرب ، إذا أرادت حج البيت الحرام ، وقتت كل قبيلة عند صنمها ، وصلوا عنده ، ثم تلبوا حتى تقدموا مكة ، فكانت تلبياتهم مختلفة)

..... امير المؤمنين عليه السلام.....عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

فاذا نظرنا الى المنطقة المحيطة بالجزيرة العربية نجد ان الشاميين والمصريين وعرب العراق تحكمهم قيم الديانة المسيحية في جانبها التشريعي العام، كما ان لكل مجتمع قيمه الاجتماعية الخاصة ومثلهم عرب اليمن، اما عرب الجزيرة فانهم لا يرجعون الى دين له نظم تشريعي حيث انهم تركوا دين الحنيفية واعتنقوا الشرك، فاصبح ما ينظم امورهم القوانين والاعراف التي يصدرها زعامات القبائل والتي اصبحت عرفا ساريا بعضه مأخوذ عن الحنيفية وبعضه فرضته الظروف العامة التي حكمت تلك القبائل<sup>4</sup>.

فكما ساد بينهم من اعراف ذات اصول دينية تبيحهم للزنا والظلم والتعدي واقرء الضيف واغاثة الملهوف والحج الى البيت الحرام وتعظيم الاشهر الحرم وغيرها من القيم الروحية والاخلاقية التي تتسجم مع الدعوة الالهية الى العدل الاجتماعي والانصاف ومكارم الاخلاق.

وكان لغياب الشريعة وحاكمية الزعامات الاثر الكبير في سن اعراف وتقاليد متفاوتة بين القبائل والتي منها غزو القبائل للقبائل الاخرى واستعباد نساءها وصبيانها وقتل رجالها ومصادرة اموالها، ودفن البنات هربا من صعوبات الحياة وخشية العار فيما لو وقعن اسارى في ايدي الغزاة، والزواج من زوج الاب بعد موته وشرب الخمر وشيوع الربا والزنا في اوساط المجتمع والتعدي على حقوق الاخرين المالية والنفسية.

## المبحث الاول

### المباني الاجتماعية في الاسلام

في العقد الثامن من القرن السادس الميلادي اشرفت انوار النبي محمد (صلى الله عليه واله) في مكة المكرمة في عام الفيل، وبعد اربعين سنة بعثه الله تعالى نبياً للعالمين فابتدأ دعوته في مكة، وبعد 13 سنة، هاجر الى المدينة واقام نواة دولته فيها، وفي سنة 12 للبعثة النبوية - 8 للهجرة - فتح مكة قلعة الشرك الحصينة لتنتهي خلال سنتين بعدها كل مظاهر الشرك في جزيرة العرب وتمتد الدولة النبوية لتبلغ حدود العراق وبلاد الشام شمالا والبحر الاحمر غربا وبحر العرب جنوبا والخليج شرقا.

<sup>4</sup> انظر تاريخ اليعقوبي:1/258، فصل حكام العرب

كانت الدعوة النبوية دعوة الى عبادة الله الواحد الاحد الفرد الصمد والايمان بالانبياء السابقين والايمان باليوم الاخر، وجاءت الرسالة النبوية لبناء الفرد والمجتمع على ضوء التشريعات التي ربطت ببين العلاقة بين العبد وربيه من جهة والعبد والمجتمع المؤمن من جهة اخرى والعبد والمجتمعات الانسانية من جهة ثالثة، كما تضمنت التشريعات الاسلامية قوانين العلاقات مع الدول والكيانات السياسية الاخرى والتي طبقت عمليا في حياة النبي (صلى الله عليه واله)<sup>5</sup>.

## المطلب الاول: بناء الانسان في المجتمع النبوي

### 1- العقيدة وبناء الفرد والمجتمع

عند مراجعة المحاور الثلاث التي عادة ما يقسم اليها الدين وهي العقيدة والشريعة والاخلاق، فإننا نجد الآيات الكريمة والخطب والاحاديث الشريفة على مستوى العقيدة تعج بالدعوة الى الإيمان بوحداية الله تعالى والإيمان بالنبوات والإيمان باليوم الاخر<sup>6</sup>، ويمكن ان ينظر الى القيم العقائدية في الاسلام من زاويتين الاولى الزاوية الواقعية لما هو متحقق خارجاً في ظرف وجود الانسان الزماني والثاني الزاوية التربوية المترتبة على الواقع.

فمن الزاوية الاولى نجد العقيدة الاسلامية تدعو الى تحرير العقل الانساني من الخرافات والعقائد التي صنعها الانسان بتسويل الشيطان وخداع نفسه<sup>7</sup>، وتنمية ذهن الانسان لإدراك الحقائق والمنع من التلاعب بإدراكاته الذهنية بالنحو الذي يجعله مستغرقاً في الجهل، ولذا شنت العقيدة الاسلامية حرباً عظمية على الشرك والادعاءات الكاذبة لتعدد الأرباب وفي الوقت ذاته شنت حرباً ضروساً على منكري الإلهية، وقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الإستدلالات التي تخاطب عقل الانسان وادراكه لإثبات ان لهذا الكون موقداً وان هذا الموجد واحد فقط، وان حق العبودية مختص به محضاً، وان العبودية لغيره جرم عظيم لا يمكن التسامح فيه<sup>8</sup>.

<sup>5</sup> من ابرز ما ظهر من القوانين الاجتماعية في الاسلام، المواخاة بين المهاجرين والانصار والتي مثلت اعلى درجات التكافل الاجتماعي في الوسط المسلم لحين تمكن المهاجرون من اعادة انفسهم، وثيقة المدينة التي نظمت الامور الادارية داخل المدينة والعلاقات بين المسلمين واهل الكتاب، ثم بعد ذلك المراسلات بين الدولة النبوية وملوك الامبراطوريات حيث بعث (صلى الله عليه واله) كتابا الى كسرى واخر الى قيصر وثالث الى المقوقس ملك مصر.

<sup>6</sup> استهلكت سورة البقرة آياتها بقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك هم المتقون) (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

كما تضمنت آيات الذكر الحكيم الاشارة الى ان العبودية لله الواحد الاحد في واقعها تحقيق للكمال الانساني، ومن يلقي نظرة في التمييز بين عبادة الله وعبادة غير الله يجد ان من يعبد غير الله يفقد حريته امام ذلك الغير فلو كان الانسان عبداً مملوكاً لإنسان اخر سواء كان ذلك المالك فرداً والمملوك فرداً كما هو حال العبودية التي كانت معروفة قبل ان تلغى او كان المالك دولة والمستعبد شعباً او شعوباً او دولاً، وان لم يطلق اسم الاستعباد عليها بل اطلقت عليها اسماء اخر كالاستعمار ونشر قيم الحضارة الغربية في المجتمعات الاخرى او غير ذلك، فان المستعبد يعمل على الغاء المستعبد بطرق مختلفة فتارة يصادر حريته واخرى يصادر ثقافته وثالثة يصادر جهوده وامواله، بحيث يكون المستعبد مضطراً لاتباع المستعبد دون ان يكون له اي خيار، اما في العبودية لله تعالى فالامر مختلف تماماً اذ يكون الانسان حراً في ظل الدستور الالهي، اي تكون حريته حرية منضبطة وليست حرية فوضوية، وان كل ما يقوم به العبد تجاه ربه من خلال الاطاعة والاتباع والانضباط يعود بالنفع اليه والى المجتمع الانساني، دون ان يكون هناك نفع يعود لله تعالى، اذ ان طاعة العبد لا تزيد في ملك الله شيء ومعصية كل الخليقة لله تعالى لا تنقص من ملكه شيء، بل هو الغني الحميد.

كما ان الايمان بالحياة الاخرى والجزاء الاخروي بالاضافة الى كونه حقيقة مستقبلية اخبر عنها الله تعالى في ضمن المسيرة التكاملية للانسان الذي عاش ويعيش ادواراً مختلفة ابتدأت في عالم الذر ثم في عالم الاجنة وبعدها في الحياة الدنيا ثم الى الحياة البرزخية وبعدها يوم القيامة ثم الخلود في النعيم او الجحيم، فان العقيدة باليوم الاخر والايمان به من شأنها ان تبني الانسان اخلاقياً وتهذب طباعه وتأخذ بيده نحو الالتزام بقيم الشريعة واخلاقياتها حيث ان الذي ينتظر حياة اخرى لا يستشعر الخذلان والخسران فيما اذا فقد شيئاً من دنياه المادية اذ كان ينتظر مغام كبيرة يفيضها الرب تبارك وتعالى جزاء لطاعته واحسانه، فكما ان اصحاب المشاريع المادية الضخمة يبذلون الاموال الطائلة في سبيل تحقيق مكاسب اكبر واضخم فكذا المؤمن في الحياة الدنيا يقدم في حياته الدنيا ما من شأنه ان يبني الحياة الاخرية لينال بذلك سعادة الدنيا والاخرة، خاصة وان من يؤمن بالدين لا يرى حالة انقطاع في مسيرته الحياتية بل يراها في حالة امتداد دائم سواء في الوجود الدنيوي المتواصل من خلال الذرية التي سيكون لإيمان الاباء واحسانهم اثر كبير في رسم سعادة الاجيال اللاحقة كما وضحت ذلك صراحة قصة موسى والخضر

(عليهما السلام) في جدار اليتيمين<sup>9</sup>، او الحياة الدائمة التي تستمر بعد مغادرة الدنيا الى عوالم اخرى لها خصوصياتها التي اشارت اليها جملة من النصوص واحسها بالوجدان العديد من ابناء البشر وان كان العلم الحديث الى الان عاجزاً عن كشف غورها.

كما ان اختصاص العبودية بالله تعالى امر في غاية الاهمية اذ ان بعض الطبقات الاجتماعية من اتباع الديانات الحقّة تجعل من نفسها حراساً للدين وكأن الدين اصبح مختصاً بها وتستغل بذلك الشعوب لإشباع غرائزها وتحقيق مآربها فتستغل الجهل بالدين لتميرر غاياتها وتحريف الدين عن سبيل الحق واستغلال الدين استغلالاً مادياً يحول المجتمع من مجتمع عابد لله مؤمن بدينه الى مجتمع عابد لحراس الهياكل وكهنة المعابد تائهاً في بحر الضلالة التي يغلفها وعاظ السلاطين بغلاف من القدسية مستغلين بذلك جهل الناس وضعف ادراكهم وسذاجة تفكيرهم<sup>10</sup>، ولذا دعى الله تعالى الناس الى اتباع تعاليم الانبياء (عليهم السلام) والحذر من تجار الدين، وقد اشار القران الكريم في العديد من الايات الكريمة الى تحريف الاحبار والرهبان الكلم عن مواضعه وخديعة البسطاء عن دينهم لتحقيق اغراض شخصية وبناء طبقات اجتماعية تستغل ايمان الناس وضعف ادراكها، وبين القران الكريم ان هذه الامة ليست بدعاً من الامم الاخرى، وانه سيجري فيها من الناحية العملية ما جرى في الامم الاخرى، فان الطبيعة البشرية واحدة في الجميع والاختلاف انما يكون في الطرق والاساليب<sup>11</sup>.

ولضمان نجات المجتمع من كيد الكائدين بين الله تعالى ان هناك اشخاصاً مصطفين هم القدوة التي على الانسان المؤمن اتباعها والحذر من الدعوات التي لا تتسجم مع ما جاء به اولئك المصطفون<sup>12</sup>.

فمن هنا نجد ان العقيدة الاسلامية تبني الفرد والمجتمع على صعيد الاستقامة الفكرية من جهة والتطبيق العملي من جهة اخرى.

<sup>9</sup> الكهف:82، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

<sup>10</sup> النساء:160-161، ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُفُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

<sup>11</sup> الانشقاق:19، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾.

<sup>12</sup> (ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض)

## 2- الشريعة وبناء الفرد والمجتمع

وعند النظر الى التشريعات الدينية سواء ما كان منها يتعلق بجانب العلاقة بين العبد وربيه او كان يتعلق بالمعاملات بين الناس، فان التدقيق فيها يوجب الايقان بان الغاية منها بناء الانسان والمجتمع وتربية الانسان على التنزه عن الخضوع للغرائز وضبطها ضبطاً صحيحاً بحيث لا يتحول الانسان مما ينبغي ان يكون عليه الى الحالة البهيمية التي لا تتناسب مع مقتضيات كمال الانسان ورقيه التكويني.

فلو اخذنا مصداقاً عبادياً واخر معاملاتياً للوقوف على الجوانب التربوية في التشريعات الالهية، ولتكن الزكاة مصداقاً للعبادة والمساواة في العطاء مصداقاً للمعاملة.

### أ- البعد التربوي في الزكاة

لا شك في اهمية الزكاة من الناحية العبادية والتربوية وبناء الانسان على الصعيد الشخصي مع مالها من اثر من الناحية الاجتماعية.

فالزكاة عبادة لانها مشروطة بنية القربة الى تعالى، اي ان الانسان يقدم ذلك القدر من المال الواجب عليه شرعاً ضمن ضوابط معينة لغرض التقرب به الى الله تعالى، فالزكاة اذن عبادة مالية، تترتب على دفعها اثار عبادية اذ ان المؤمن يعتقد ان هذا القدر من المال كلف بدفعه الى موارد خاصة على اساس الارادة الالهية فيكون العبد منبعثاً في تقديم المال الى مستحقه وصرفه في مورده بداعي الطاعة وتحقيق الارادة التشريعية للرب تبارك وتعالى، فالرب له حق الطاعة على العبد والعبد يحركه حق المولى وواقع العبودية له لاجرا ذلك القدر من المال وتقديمه الى موارد يريد الله تبارك وتعالى من ذلك العبد ان يصرفه فيها. فالجانب الاول في الزكاة اداء حق مولوية المولى والاندفاع نحو امتثال ارادته التشريعية<sup>13</sup>.

الجانب الثاني ان العبد عندما يدفع ذلك القدر من المال هو على يقين بان من رزقه ذلك المال هو الله تعالى وان ما يقوم به هو نحو من انحاء شكر المنعم تبارك اسمه، فالمؤمن عند تقديمه للزكاة يكون قد ادى واجب الشكر فان من الفطرة الانسانية والجنبة الاخلاقية ان يشكر الانسان من احسن اليه وتلطف وتفضل، وهذا الجانب ينمي في الانسان شكر كل محسن بما يتناسب مع

<sup>13</sup> (والذين هم للزكاة فاعلون) (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)

..... امير المؤمنين عليه السلام..... عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح.....

اداء فرض الشكر على اساس ما ربه عليه الشريعة وحكم به العقل وايدته الفطرة الانسانية السلمية من شكر المنعم المتفضل مهما كانت درجته ونوع احسانه، وهذه التربية المجتمعية والشخصية مهمة جدا في التأسيس لقيمة اجتماعية عليا مبنية على رد الجميل على العكس من المجتمع الذي تغيب عنه هذه القيمة بحيث يتحول الى مجتمع منكر للجميل والاحسان<sup>14</sup>.

الجانب الثالث التنزه عن التعلق بالمال فان من غايات تشريع الزكاة الجانب التربوي الاخلاقي حيث ان تشريع الزكاة ينمي في الانسان روح التنزه عن التعلق بالمال، ذلك ان بذل قدر من المال يتقرب به العبد الى الرب مع اعتقاد العبد ان ما يقدمه ليس من ماله وانما هو مؤتمن عليه لتقديمه الى مستحقه، لان التشريع ورد في ان للسائل والمحروم حق معلوم فيما بين يدي دافع الزكاة وانه في حال عدم تسليم ذلك المقدار يكون غاصبا لحق اوجبه الشارع لذلك الفقير فنسبه ملكية المال الى من بيده بذلك القدر المعين نسبة مجازية وليست نسبة حقيقية من الناحية التشريعية اذ لو كان المال له لما وجب عليه دفعه الى المستحق فهذا القدر اذن هو خارج عن ملك من بيده المال وهو مؤتمن عليه لا يصله الى مستحقه الذي حدده الشارع ولا تبرأ نمة المؤتمن حتى يؤدي الامانة الى مستحقها<sup>15</sup>.

فاذا اقدم الناس على البذل بنفس طيبة لما كان مؤتمناً فيه مما جناه من كد يده وبذل جهده اصبح مما يهون عليه البذل خاصة اذا اتسعت دائرة بذله الى النفقات المستحبة بعد ان يؤدي ما عليه من النفقات الواجبة، وبذا يتحرر الانسان من عبودية المال وحب الاكتناز ويسمو الى الاعتقاد عن كل ما من شأنه ان يستعبد حريته من الامور المادية ويصبح رضا الله غايته القصوى وامنيته العظمى فيكون اسماً واكبر بنحو لا يتعارض عن فطرته التي فطره الله عليها فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا والرغبة في الامتلاك من غرائز الانسان الطبيعية الا ان التشريعات تحافظ على فطرة الانسان في كونه مالكا للمال وليس مملوكاً له، في كونه مستثمراً للمال في سبيل الخير والتطور والرقي والنهوض بالواقع الفردي والاجتماعي وعلاقته بالمال علاقة المستثمر للطاقت في سبيل الخير والقرب من الله فيكون هو المالك لما وهبه الله ولا يتحول الى مجرد عامل لجمع المال للاستثمار به وكنزه في خزائنه مع ما يراه من حاجة المجتمع الى بذل المال في سبيل تحقيق النمو الاقتصادي والرقي الثقافي والاجتماعي والعلمي.

<sup>14</sup> (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)

<sup>15</sup> وهو المعنى الذي اشار له القران في قوله تعالى (خذ من اموالهم صدقة تزكئهم وتطهرهم بها)

## ب - البعد التربوي في المساواة في العطاء

ساد في المجتمعات الانسانية قبل الاسلام تقسيم المجتمع الى طبقات منها طبقة العبيد وطبقة العامة والطبقة الوسطى وطبقة الاشراف. وكان التعاطي بين هذه الطبقات بنحو الفوقية من الطبقات العليا تجاه الطبقات الادنى منها مرتبة. فلما جاء الاسلام هذب الفوارق الاجتماعية واطهر قيم تتناسب مع الاطروحة الحضارية التي يتبناها فأمر بالمساواة بين المسلمين في الشؤون الحياتية فكان ما تقدمه الدولة النبوية لرعاياها من اعانات مادية متساوية اذ كان النبي (صلى الله عليه واله) يساوي بين المسلمين في العطاء، كما جعل الدين عنوان التكافؤ بين افراد المجتمع المسلم اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وابتدأ النبي (صلى الله عليه واله) باهل بيته حيث زوج ابنة عمته زينب بنت حجش من مولاه زيد بن حارثة مع ان زينب بنت حجش رضوان الله عليها سليلة الطبقات الكريمة من قريش وزيد كان عبدا للسيدة خديجة وهبته للنبي (صلى الله عليه واله) فاعتقه<sup>16</sup>، وكان المسلمون سواسية امام الشرع الالهي لا يفضل احد منهم على الاخر باي نحو من انحاء التفضيل المتعارف عليه بين الناس على اسس عرقية او مادية او اجتماعية، بل جعل الاسلام المائز بين الناس التقوى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) واما الاختلاف في القبائل والشعوب فلأجل التعارف لا اجل التفاضل والتفاخر (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).

فبالإضافة الى الجانب التشريعي فان للمساواة بين ابناء المجتمع اثار تربوية مهمة حيث ان التفاضل بالتقوى يوجد في الانسان الداعي نحو تحصيل هذا الكمال وينعكس تأثيره بوضوح على واقع المجتمع فان المجتمع الذي تسوده التقوى يكون مجتمعا منتجا بعيداً عن السلبيات ايجابياً ينتشر فيه الاحسان والعدل والصدق وكريم الخصال ومكارم الاخلاق، كما ان المساواة بين ابناء المجتمع تحول المجتمع الى مجتمع مبدع وساع للتكامل والرقي ولا يعيش حالة الانكفاء والانطواء والانهازامية، وتزول عنه العصبية والدعاوى الفارغة ويضعف فيه الجانب السلبي وتزول فيه الصراعات الطبقيية والتنازير بالألقاب والهمز واللمز لان كل هذه الصفات الذميمة تتعارض مع التقوى<sup>17</sup>.

<sup>16</sup> البحار: 297/20

<sup>17</sup> (باليها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن)

فمن هذين المصداقين الذين تم ذكرهما في التشريعات الفقهية يتضح ان التشريعات تحمل في طياتها مسألة بناء الفرد والمجتمع بالنحو الذي ينهض بالواقع الاجتماعي بعد ان كان المحور في الحركة الفردية والاجتماعية العبودية تعالى التي تستبطن في واقعها الحرية المنضبطة التي تشكل ركنا اساسيا في الرقي الفردي والمجتمعي.

## المطلب الثاني: عوامل نجاح الاطروحة

### المبنى والاشراف والتطبيق

كل اطروحة اذا اريد لها النجاح لابد من توافر عناصر ثلاث، الاطروحة الموضوعية التي تتلائم مع طبيعة الموضوع الذي يراد في مورده، الاشراف من قبل اشخاص لديهم احاطة حقيقة تامة بكل تفاصيل الاطروحة على تطبيق تلك الاطروحة وبيانها، تطبيق تلك المباني من قبل الجهة المخاطبة بتلك الاطروحة.

وفي موردنا الاطروحة هي بناء الفرد والمجتمع من خلال العقيدة الحقّة والتشريعات التي من شأنها ان تنهض بالفرد وترتقي بالمجتمع والقيم الاخلاقية الحميدة التي توسع في دائرة التطبيق وتكون معززة للجانب التشريعي ومساهمة معه في تحقيق الغايات التي ترمي اليها الاطروحة.

والاطروحة الاسلامية تم بيانها في حياة النبي (صلى الله عليه واله) من خلال الآيات الكريمة والنصوص الشريفة والسيرة المطهرة للنبي (صلى الله عليه واله)، وجهة الاشراف التي لها الاحاطة التامة بمباني الاطروحة الاسلامية متمثلة بالنبي (صلى الله عليه واله) والمخاطب هو المجتمع المسلم الذي يفترض فيه ان يقوم بتطبيق تلك المباني العظيمة تحت اشراف النبي (صلى الله عليه واله).

ولما كانت حياة الانسان محدودة والنبي (صلى الله عليه واله) ليس بدعاً من بني الانسان، فلذا كان من الضروري ان تكون هناك جهة مشرفة تقوم بدور النبي (صلى الله عليه واله) بعد رحيله عن الدنيا وان تكون لها احاطة بالاطروحة الاسلامية في ابعادها العقائدية والتشريعية والاخلاقية بمستوى الاحاطة التي لرسول الله (صلى الله عليه واله) ليعضن بذلك استمرار المسيرة التكاملية للمسلمين افراداً ومجتمعاً.

وحيث ان الاحاطة التامة بالمباني الاسلامية امر خفي اذ لا يسع اكتشاف من تحققت عنده هذه الحالة الكمالية بعد النبي (صلى الله عليه واله) فلذا كان من الضروري ان يبين النبي (صلى الله عليه واله) للامة الاسلامية من تحققت لديه الكمالات الروحية والاحاطة العلمية وبلغ من الكمال اقصى مراتبه ليكون هو الامين على الاشراف في تطبيق المباني الاسلامية الصحيحة، وتحديد ذلك الشخص او تلك المجموعة ليس امراً ترفيلاً ثانوياً بل هو امر في غاية الاهمية فالنبي (صلى الله عليه واله) بلغ الاطروحة الالهية واشرف على تطبيقها ولا بد من ديمومة الاشراف لان الامة لم تصل الى مستوى النضج الكافي الذي يؤهلها للنهوض بمسؤولية تطبيق الاطروحة الالهية، ولذا صدح القران الكريم في بعض آياته الشريفة في تحديد من له اهلية الاشراف على التطبيق فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>18</sup>. وقال عز اسمه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>19</sup> وانزل فيهم سورة الانسان، وجعل الله تعالى اجر الرسالة مودتهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>20</sup>، وصدح النبي (صلى الله عليه واله) في مواطن متعددة حتى تواترت عنه النصوص (عن حنش بن المعتمر قال : رأيت أبا ذر الغفاري -رحمه الله - آخذاً بحلقة باب الكعبة وهو يقول : ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر جندب بن السكن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إني خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ألا وإن مثلهما فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق)<sup>21</sup> و(من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)<sup>22</sup> وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تشير اشارته بينه انها في مقام تحديد الامناء على تطبيق الاطروحة الالهية بعد النبي (صلى الله عليه واله).

## المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي بعد فتح مكة

### 1- مجتمع الدولة النبوية في اخريات ايام النبي (صلى الله عليه واله)

فتح النبي (صلى الله عليه واله) مكة سنة 8 للهجرة النبوية المباركة وتوالت بعدها الفتوحات، ولكون العاصمة في المدينة المنورة انتقلت اليها العديد من الزعامات المكية التي حملت لواء الحرب ضد الاسلام والنبي (صلى الله عليه واله) طيلة السنوات الاحدى والعشرين للبعثة النبوية

18 المائدة:55

19 الاحزاب:33

20 الشورى:23

21 كمال الدين وتام النعمة: 239

22 الكافي:28/8

..... امير المؤمنين عليه السلام..... عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

منذ البعثة وحتى الفتح، وكقرش التي دخلت الاسلام كرها لم يكن الايمان قد استقر في قلوب العديد من الاعراب المحيطين بالمدينة<sup>23</sup>، بل كانت النزعة الى الهيمنة على المجتمع في ظل التطورات الجديدة التي رافقت انتشار الاسلام قد ولدت لدى البعض نزعة ادعاء النبوة حيث تشير بعض المصادر الى ان ادعاء مسيلمة النبوة كان في اخريات ايام النبي (صلى الله عليه واله)<sup>24</sup>، واما المجتمع القرشي فانه كان يعمل على السيطرة على مقاليد الحكم بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله)<sup>25</sup> ولذا عملوا جادين على تحييد الانصار والاتفاق على ان تكون قيادة السلطة متداولة بين بطون قرش كما عملوا على جذب قبيلة اسلم - وهم قبيلة من الاعراب كانوا يسكنون قرب المدينة - لمعادلة الكفة العسكرية داخل المدينة في حال حصول اي طارئ<sup>26</sup>.

ومضافا الى التعبئة العسكرية والسياسية التي عمد اليها القرشيون، عمدوا ايضا الى ضرب المباني الاجتماعية، فمجرد ان حصل خلاف بين احد المهاجرين وشخص من الانصار نادى المهاجري بالمهاجرين ونادى الانصاري يا للانصار ومثله حصل مرة في مفاخرة بين الاوس والخزرج فتداعوا لحمل السلاح في تصرف يدل بوضوح على ان القيم الجاهلية لا تزال مترسخة في قلوب امثال هؤلاء<sup>27</sup>، وبدلاً من التعامل بمودة تجاه اهل البيت النبي (صلى الله عليه واله) وقرباه عمد القرشيون الى اىذاء اقارب النبي (صلى الله عليه واله) حتى شكى العباس بن عبد المطلب<sup>28</sup> وسبيعة بنت ابي لهب<sup>29</sup> الى رسول الله (صلى الله عليه واله) ما كانوا يتعرضون له

<sup>23</sup> قال تعالى (قالت الاعراب انا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم)

<sup>24</sup> الافصاح للشيخ المفيد: 237، عوالي اللئالي: 104/2، البحار: 412/21، مسند احمد: 369/1

<sup>25</sup> في كتب التاريخ والمصادر الروائية توجد اشارات بل وتصريحات الى عدة محاولات لاغتيال النبي (صلى الله

عليه واله) احداها كانت في طريق تبوك والاخرى دس السم له في كتف شاة مدعين ان صاحبة الدعوة امرأة

يهودية، وفي دعوى كون صاحبة الشاة يهودية نظر غير خاف، مضافا الى محاولة رمي الرحي عليه عند

عيادته احد المرضى، انظر البحار: 231/21، البحار: 45/16، الدرر لابن عبد البر: 204، تخريج الاحاديث

والاثر: 68/1، تفسير الرازي: 23/8، الثقة لابن حبان: 17/2، البداية والنهاية: 23/4، تاريخ ابن خلدون: ج2 ق2 ص29،

الخصال: 398 ح105، كتاب سليم بن قيس: 272، الغارات: 64/1، الهداية الكبرى: 77، المسترشد: 95، امالي

الطوسي: 175، الاحتجاج: 1/59، مسند احمد: 39/5 حديث حذيفة بن اليمان، وص453، صحيح

مسلم: 123/8، مصنف ابن ابي شيبة: 588/8، شرح نهج البلاغة: 125/2، 291/6، 115/13

<sup>26</sup> البحار: 335/28، تاريخ الطبري: 459/2، الشافي في الامامة: 19/3

<sup>27</sup> تفسير السمعي: 45/5، تخريج الاحاديث للزيبي: 210/1، الامثل: 615/2، جامع البيان للطبري: 33/3، تفسير الثعلبي: 159/3،

تفسير البغوي: 331/1، تفسير الوجيز للاندلسي: 481/1

<sup>28</sup> شرح الاخبار: 493/2، العمدة: 7، ذخائر العقبى: 193، البحار: 81/27، مسند احمد: 165/4، المستدرک على الصحيحين: 333/3،

اسد الغابة: 110، 331/3، المنتخب من ذيل المذيل: 49

من ايداء ، كما اوغلووا في ايداء النبي (صلى الله عليه واله) في حديث الافك المعروف الذي وجهت فيه التهم الى السيدة مارية القبطية<sup>30</sup> (رضوان الله عليها) وحصلت تجاوزات كثيرة على شخص النبي (صلى الله عليه واله) كقول احدهم عدل يا محمد<sup>31</sup> وجر الاخر النبي (صلى الله عليه واله) من قميصه عندما اراد الصلاة على ابن ابي راس المنافقين<sup>32</sup> او انكارهم كتابة حديث النبي (صلى الله عليه واله)<sup>33</sup> او تركه قائماً مع نفر قليل في صلاة الجمعة عندما وصلهم صوت الطبل المنبأ بوصول القوافل<sup>34</sup> واثارة بعض نساءه للمشاكل في بيته فتارة تعرض احدهن بخديجة (رضوان الله عليها) ايداء لفاطمة (عليها السلام)<sup>35</sup> او ضرب احدهن لانياء جاءت به السيد صفية بنت حيي بن اخطب (رضوان الله عليها) بطعام للنبي (صلى الله عليه واله) فكسرت الانية فاغضبت بذلك رسول الله (صلى الله عليه واله)<sup>36</sup> وقصة افشاء الحديث الذي اسره النبي (صلى الله عليه واله) لبعض ازواجه<sup>37</sup> وغير ذلك كثير، مضافا الى دلالات اية النجوى من الناحية الفردية والاجتماعية<sup>38</sup> ودلالات احداث معركة خيبر<sup>39</sup> وقصة حاطب بن بلتعنة<sup>40</sup> واسباب استخلاف امير المؤمنين (عليه السلام) على المدينة في غزوة تبوك حيث اخبره النبي (صلى الله عليه واله) بعد ان قال له انه منه بمنزلة هرون من موسى ان المدينة لا تصلح الا برسول الله (صلى الله عليه واله) او امير المؤمنين (عليه السلام)<sup>41</sup>، اي ان هناك خطر كان يهدد امن العاصمة النبوية اذا لم يكن فيها النبي (صلى الله عليه واله) او امير المؤمنين وهذا الخطر

29 ذخائر العقبى: 7، 249، الكامل لابن عدي: 262/7، اسد الغابة: 473/5، الاصابة: 128/8، سبل الهدى والرشاد: 4/11، ينيابيع المودة: 110/2، 475

30 رسالة حول خبر مارية للشيوخ المفيد، مستدرک الوسائل: 76/18، الهداية الكبرى: 297، دلائل الامامة: 385، نوادر المعجزات: 176، امالي المرتضى: 54/1، مناقب ال ابي طالب: 397/1، 65/2، كتاب الاربعين للشيرازي: 618، مدينة المعاجز: 7/ 268

31 المحلى لابن حزم: 418/11، نيل الاوطار: 346/7، البحار: 33/339، مسند احمد: 3/355، سنن ابن ماجه: 1/61، شرح مسلم للنووي: 7/ 158، فتح الباري: 55/8، شرح نهج البلاغة: 266/2

32 الدعوات للرواندي: 256، تذكرة الفقهاء: 77/2، الكافي: 189/3، تهذيب الاحكام: 169/3، مسند احمد: 16/1، البخاري: 76/2، 33 انظر مكاتيب الرسول للميانجي: 1/ عنوان كتابة الحديث في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله)

34 تفسير ابن كثير: 392/4، الدر المنثور للسيوطي: 222/6، البحار: 132/86

35 مناقب ال ابي طالب: 114/3، البحار: 43/43، الخصائص الفاطمية: 497/1

36 طبقات ابن سعد: 127/8، سنن ابي داود: 156/2، الاستذكار لابن عبد البر: 148/7، تفسير القرطبي: 357/2، الصحيح من سيرة النبي الاعظم: 294/3

37 التحريم: 3، المسائل العكبرية: 78، امالي الطوسي: 158، سعد السعود: 180، الصراط المستقيم: 168/3، الاربعين: 627، البحار: 227/22، صحيح البخاري: 70/6، مجمع الزوائد: 178/5، المعجم الاوسط: 13/3

38 المجادلة: 12، مناقب الكوفي: 178/1، 122، شرح الاخبار: 108/2، الاحتجاج: 205/1، مناقب ال ابي طالب: 346/1، الطرائف لابن طابوس: 40، ذخائر العقبى: 107، الاربعين للشيرازي: 221، البحار: 16/17، 376/35، سنن الترمذي: 80/5، مستدرک الحاكم: 482/2، مجمع الزوائد: 7/ 122، مصنف الكوفي: 505/7، خصائص النسائي: 128

39 مناقب ال ابي طالب: 2/ 318، العمدة: 157، الطرائف: 55، البحار: 1/21 وما بعدها، مجمع الزوائد: 151/6

40 عمدة القاري: 157/22، التبيان للطوسي: 194/5، تفسير البحر المحيط: 440/2، الطبقات الكبرى: 134/2، البداية والنهاية: 6/ 329

41 كمال الدين: 278، كتاب سليم بن قيس: 201، المسترشد: 235، الارشاد للمفيد: 155/1، التعجب: 100، كنز الفوائد: 283، الاحتجاج: 216/1، مناقب ال ابي طالب: 1/ 182، التحصين: 635، البحار: 208/12، مستدرک الحاكم: 2/ 337، كنز العمال: 13/172، كشف الغمة: 227/1، كشف اليقين: 45،

..... امير المؤمنين عليه السلام.....عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

داخلي وليس خارجي وهذه المفردات تعكس لنا انكفاءة اجتماعية كان يقودها مسلمة الفتح ومناقفي المدينة ظهر اثرها السلبي واضحاً عند وفاة النبي (صلى الله عليه واله) ولا تزال الامة الاسلامية الى اليوم تدفع الثمن على صعيد بناء الفرد والمجتمع فضلاً عن اللوازم الاخرى لهذا الانحراف الخطير.

## 2- المجتمع بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)

رحل رسول الله (صلى الله عليه واله) بعد ان كانت اخريات ايامه من اشدها على قلبه الشريف، لانه كان يستشرف المستقبل القريب وينظر بنور الله وعصمة النبوة وكمالاته الذاتية الى ما سيؤول اليه واقع هذه الامة وموقفها من المنظومة الالهية ومن حفظة الدين وحملة رسالة الاسلام من بعده.

### المطلب الاول: تأثير القوى في القيم الاجتماعية

ان السير العام لاي مجتمع بطبيعته يتبع القوى المؤثرة فيه، وفي الاغلب تكون السلطة القوة الاكثر تأثيراً في المجتمع وهي حقيقة اكدها علماء المجتمع في مختلف الاعصار والامصار حتى شاعت عنهم مقولة ( الناس على دين ملوكهم)، وهذه الحقيقة تفسر لنا انتشار مذاهب واديان خاصة في مناطق معينة من الكرة الارضية فانتشار المسيحية في اوربا كان بسبب اعتناق امبراطور اوربي لها، واعتناق البريطانيين للبروتستانتية كان بسبب اعتناق ملك بريطانيا لها، وترجع فرنسا على عرش الدفاع عن الكاثوليكية كان بسبب الدفاع المستميت من ملوك فرنسا عن الكاثوليكية، واعتناق روسيا وشرق اوربا للمذهب الارثوذكسي يعود لهذا السبب ايضا.

كما ان انتشار المجوسية في بلاد فارس كان بسبب اعتناق ملوك الفرس لها، وانتشار البوذية في الصين والكوريتين واليابان يعود للسبب نفسه.

وانتشر الاسلام في جزيرة العرب ومنه الى البلاد التي احتلها العرب بعد ذلك لان الدولة النبوية قامت على اساس الاسلام وانتشر في البلدان التي فتحها العرب لانه دين الدولة التي انطلقت من المدينة المنورة في القرن الثامن الميلادي<sup>42</sup>.

<sup>42</sup> انظر قصة الحضارة لول ديورانت الاجزاء المختصة بهذه الديانات.

..... امير المؤمنين عليه السلام..... عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

والكلام بعينه يأتي في الاطروحات الحديثة التي تتبنى مسألة الهيمنة على العالم على ضوء الاراء الفلسفية الحديثة مثل كالشيوعية والاشتراكية والراسمالية والديموقراطية، وهذه وان لم تكن عقائد بالمعنى الاصطلاحي في علم الكلام الى انها نظريات في ادارة الدولة وادارة كفة الصراع في العالم دمج فيها الفكر الديني مع الفكر الاجتماعي مع الفكر الاقتصادي والجانب الامني والصراع الحضاري ليشكل بمجموعه منطلقات للسيطرة على الكرة الارضية واستعباد شعوبها بصيغ متنوعة وان كانت تغلف غاياتها بشعارات براقة كالمساواة والحرية والديموقراطية وحقوق الانسان التي لا تعدوا في الواقع كونها يافطات اعلامية للتمهيد للغزو الفكري والهيمنة على الشعوب والغاء شخصيتها ومصادرة حرياتنا والعبث بمقدراتها<sup>43</sup>.

### المطلب الثاني: الاتجاهات السياسية في المجتمع

ما تقدم جرى بعينه في الدولة الاسلامية بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) اذ ان قرار قريش باستلاب السلطة كان يقتضي تغيير كل النظم الفكرية والاخلاقية والاجتماعية التي تتعارض مع مشروعية ادراة قريش للسلطة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله)، ومر الاجراء القرشي بعدة مراحل المرحلة الاولى مرحلة ما بعد النبي (صلى الله عليه واله) الى قيام الدولة الاموية، المرحلة الثانية مرحلة الدولة الاموية، المرحلة الثالثة مرحلة الدولة العباسية، وما جاء بعد ذلك من تطورات على برنامج اقضاء اهل البيت (عليهم السلام) انما هو فرع تلك المراحل الثلاث من مراحل تغيير البنية الاجتماعية للمجتمع المسلم، والذي يعيننا في هذه المرحلة هي المرحلة الممتدة من وفاة النبي (صلى الله عليه واله) في صفر سنة 11هـ وحتى بيعة امير المؤمنين (عليه السلام) في ذي الحجة سنة 34هـ.

يمكن للباحث ان يقسم المجتمع بلحاظ نوازع السيطرة على الحكم بعد النبي (صلى الله عليه واله) الى عدة اقسام:

43 انظر في ذلك قصة الحضارة لول ديورانت، والابطال لتوماس كارليل، وكرة الثلج، ولعبة الامم، والمخابرات والعالم، موت الغرب، صدام الحضارات، الجبروت والجبار، الربيع العربي، السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ، المسألة الطائفية ومشكلة الاقليات

1- المجتمع الملتزم بمقتضيات بيعة الغدير وتوصيات النبي (صلى الله عليه واله) في ان يكون الخليفة من بعده امير المؤمنين (عليه السلام) وان تكون المرجعية الدينية للامة بعده (صلى الله عليه واله) للاثمة المعصومين من اهل البيت (عليهم السلام).

2- المجتمع القرشي الذي يشكل بنو امية فيه محور العمل السياسي، واليهم تنمي كل الاستعدادات في الانقضاء على الحكم بعد النبي (صلى الله عليه واله) وان كانت الظروف الموضوعية لا تسمح بان يتصدى بنو امية للحكم بعد النبي (صلى الله عليه واله) مباشرة لعدم مقبوليتهم من قبل الانصار وخشية الانصار منهم ان هم استلموا السلطة اذ يخشى الانصار ان يسعى القرشيون للثار لقتلاهم في بدر واحد وفي كلا الحربين كان الانصار هم عماد مقاتلة الجيش النبوي.

3- المجتمع الانصاري الذين لما علموا بسعي قريش لزوي الخلافة عن امير المؤمنين (عليه السلام) دفعهم الخوف على مستقبلهم وامنهم من الاجتماع للتشاور في سقيفة بني ساعدة لتحديد موقفهم مما يجري.

4- المجتمعات التي تستشعر التبعية للعاصمة حيث يستقر في العاصمة اصحاب الراي وزعماء السياسة التي تدير تلك البلاد الواسعة، وهم يرون انهم امتداد طبيعي لما يقرر في مركز القرار السياسي.

5- المجتمعات التي ترمي الى الاستقلال عن الدولة المركزية واقامة حكوماتها المستقلة والتي من ابرزها حركة مسيلمة الكذاب.

ان هذا الانقسام الواضح في بدن المجتمع المسلم شاهد على حصول تخلخل في المباني الاجتماعية، اذ ان البنية الاجتماعية للمجتمع المسلم حسب الاطروحة النبوية تقتضي ان يكون المجتمع الاسلامي مجتمع واحد موحد يؤمن بالله والنبي واليوم الآخر ويقوم احكام الاسلام ويؤمن بقيمه الاخلاقية، بينما نرى ان هناك تشردم وتمزق في هذا البدن فمن منكر للاسلام ولخاتمية الرسالة النبوية كما حصل مع مسيلمة الكذاب وسجاح واتباعهما في جنوب البلاد الاسلامية<sup>44</sup>، ومنهم انقض على الخلافة بعد ان مهد الامر عسكرياً وسياسياً في العاصمة وهم قريش، ومنهم

<sup>44</sup> شجرة طوبى: 52/1، السقيفة للمظفر: 25، مستدرك سفينة البحار: 462/4، عبد الله بن سبأ: 1:168، فتح الباري: 454/6، عمدة القاري: 82/16، تحفة الاحوذى: 313/10، تفسير الثعلبي: 78/4، تفسير الرازي: 19/12، تفسير البيضاوي: 337/2، فتوح البلدان: 118/1، تاريخ البعقوبي: 131/2، تاريخ الطبري: 492/2، التنبيه والاشراف: 248، الكامل في التاريخ: 354/2

..... امير المؤمنين عليه السلام..... عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

من تلاعبت به قريش حتى اضحى تابعا لقيادها وهم الانصار، فكانت هذه اول هزة للقيم الاجتماعية الاسلامية التي كانت تركت على مفاهيم الاسلام النبوية<sup>45</sup>.

ومن هنا نكتشف ان مجتمع المسلمين ليس بدعاً عن بقية المجتمعات فهو مجتمع بشري تحركه مصالحه ومنافع زعاماته بغض النظر عن مدى انسجام تلك المصالح مع مبادئ الدين الذي يعتنقه.

وان انقسام الامة من حيثية النوازع السياسية الى عدة مجتمعات دليل على ان القيم الاجتماعية التي شرع الاسلام فيها ببناء الفرد والمجتمع قد تعرضت لتشويه كبير، اذ ان القيم الدينية للمجتمع تمنع من التنازع لاجل الدنيا، وتنص على ان السعي لاجل تحقيق المكاسب يجب ان يكون ضمن الاطر التي يقرها الدين الاسلامي، وان لا تكون الدوافع الذاتية هي المحرك الاساس نحو تحقيق المنافع مهما كانت عظيمة او ضئيلة.

اما الذي حصل فان الرغبة في الملك والسيطرة دفع مسيلمة وسجاح الى ادعاء النبوة والتحق بهم عدد غير قليل من الاتباع، لتحقيق منافعهم الخاصة وهكذا حصل اول شرخ معلن في المنظومة الاجتماعية، اذ التحول من دين الى دين اخر يفتر للمقومات الموضوعية للدين، فهذا التحول يدل بما لا يقبل الشك على ان المجموعة القائدة لذلك التحرك تهدف الى تحقيق غايات شخصية وانها تحركت لكسب الاتباع لتكوين نواة اجتماعية لحركة سياسية تهدف الى تمزيق كيان الدولة القائم، واقامة دولة اخرى لها وضعها الخاص وقيادتها الخاصة وتعاليمها التي تخصها، وقد نقل التاريخ سعي مسيلمة لكسب الاتباع من خلال الغاء احكام الاسلام تدريجياً للعودة الى مجتمع ما قبل الاسلام وانحرافات الاخلاقية والفكرية، فما قام به مسيلمة من افعال وما اصدره من احكام كانت الغاية منها اخراج المجتمع من دائرة تاثير احكام الاسلام وقيمه الاخلاقية ومنظومته العقائدية ويجاد مجتمع بديل ينسجم مع طبيعة التحرك الجديد والدولة المزعم قيامها وتشريع احكام وقوانين تتناسب مع مقتضيات المرحلة السياسية التي يرسم اليها مسيلمة، اذ ليس من المنطقي ان يدعو مسيلمة الى دولة مستقلة مع التزامه بجميع قيم الاسلام، لان هذه الدعوة تكون

<sup>45</sup> نهج البلاغة:خ3 المعروفة بالخطبة الشقشقية، الخصال:172، مختصر بصائر الدرجات:192، شرح اصول الكافي:199/5، مصباح البلاغة:162/1، كتاب سليم بن قيس:138، الهداية الكبرى:139، شرح الاخبار:228/2، الاحتجاج:91/1، مناقب ال ابي طالب:47/2، فدك في التاريخ، مسند احمد:55/1، صحيح البخاري:102/3، 194/4، 26/8، صحيح مسلم:103 /6، السقيفة وفدك للجوهري، السنن الكبرى:142/8

..... امير المؤمنين عليه السلام.....عبد الستار الجابري..... وبناء المجتمع الصالح .....

فاقده لمبررات وجودها فبالتالي ان تغيير القيم الاجتماعية ضرورة وجودية لقيام مثل دولة مسيلمة او قيام اي كيان اخر لا يمكن ان ينسجم انسجاما تاما مع اطروحة الاسلام الفكرية والحضارية.

وفي قبال دعوة مسيلمة الانفصالية كانت هناك دعوة اخرى تهدف الى احكام السيطرة على الدولة مع اقضاء اهل البيت (عليهم السلام) عن سدة الحكم وكانت تلك دعوة قريش التي بدأت اولى بذراتها بعد صلح الحديبية وانتقال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد الى المدينة المنورة، ثم تسارعت في نسج الخيوط بعد فتح مكة حتى بلغت ذروتها عند وفاة النبي (صلى الله عليه واله) حيث انقض القرشيون على الحكم في المدينة المنورة، معلنين بذلك انتهاء حقبة ادارة بني هاشم للدولة وتدوير السلطة بين بطون قريش.

### المطلب الثالث: نماذج من برنامج قريش للتغيير الاجتماعي

ان اشد ما كان يشكل خطراً على المشروع القرشي هو تركيز القران الكريم والنبي (صلى الله عليه واله) على امامة اهل البيت (عليهم السلام) وانهم فقط من لهم اهلية الاشراف على تطبيق الرسالة الاسلامية، ولذا كان لابد لقريش من العمل على تغيير الفهم الاجتماعي لهذه الحقيقة لضمان استمرار منهجيتهم في ادارة البلاد بعيداً عن اهل البيت (صلوات الله عليهم).

وفيما يلي جملة من المخالفات التي ارتكبت في سبيل تدعيم سلطة قريش في قبال سلطة اهل البيت (عليهم السلام)

#### 1. احتلال قريش للمسجد النبوي

احتل القرشيون المسجد النبوي لضمان تطويق حركة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومنع من له رغبة به من الوصول اليه، فكانت بطون قريش مجتمعة في المسجد النبوي استعداداً لكل طارئ، وهذا الاحتلال يشكل تهديداً لاقرباء النبي (صلى الله عليه واله) ومصادرة لحرية المسلمين<sup>46</sup>، وهذان امران لا يمكن قبولهما باي شكل من الاشكال فان لأهل البيت (عليهم السلام) مكانة خاصة ومقاماً لا يصح معه تطويق بيوتهم وارهابهم، كما ان المناط في كل شيء الرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله

<sup>46</sup> انظر ابن قتيبة: الامامة والسياسة الفصل الخاص بوفاة النبي (صلى الله عليه واله) وبيعة ابي بكر، والطبري تاريخ الامم والملوك الفصل المختص بحوادث سنة 11 هجرية، ابن الاثير: الكامل في التاريخ الفصل المختص ببيعة ابي بكر

عليه واله) وما قامت به قريش من قطع التواصل بين امير المؤمنين (عليه السلام) ومريديه لا يمكن دراجه تحت اي عنوان من العناوين الجائزة شرعاً، فما جرى من قريش تطبيق لمبدأ مصادرة الحياة والتجاوز على الحقوق وهما مبدئان بعيدان عن روح الاسلام وقيمه الاجتماعية.

## 2. احتلال قبيلة اسلم لمدينة النبي (صلى الله عليه واله)

حيث كانت هذه القبيلة قد دخلت كحليف مهم لقريش ويظهر ان عمر بن الخطاب كان هو الطرف المهم في التفاهم بين قريش واسلم اذ كان يقود الاسلاميين ويقترح بهم بيوت الممتنعين عن بيعة ابي بكر ويخرجهم بالاكراه من بيوتهم للبيعة وكذا في كل من يلاقيه في الطريق يكرهه على البيعة<sup>47</sup>.

## 3. الهجوم على دار فاطمة (صلوات الله عليها)

وهو امر اجمع عليه جميع من ارخ لأحداث بيعة ابي بكر بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) وان عمر امر بجمع الحطب على باب دارها وان الباب احترقت وقد ارخ لذلك شاعر النيل حافظ ابراهيم<sup>48</sup> بقوله

وَقَوْلَةٍ لِعَلِّيَّ قَالَهَا عُمَرُ  
أَكْرَمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا

حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا  
إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَبِنْتُ الْمُصْطَفَى فِيهَا

مَا كَانَ غَيْرُ أَبِي حَفْصٍ يَفْوهُ بِهَا  
أَمَامَ فَارِسِ عَدْنَانَ وَحَامِيهَا

كِلَاهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ عَزَمْتُهُ  
لَا تَنْتَنِّي أَوْ يَكُونُ الْحَقُّ ثَانِيهَا

فَأَذْكُرُهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا  
أَعَظِمًا أَلْهُوا فِي الْكَوْنِ تَأْلِيهَا

ولعمري ان البيتين الاخيرين من القصيدة لهما دليل على مستوى تبديل الفهم الاجتماعي والابتعاد به عن حقيقة مباني الاسلام حيث يتساوى في نظر الشاعر امير المؤمنين (عليه السلام) وعمر مع ما في قول عمر - الذي يتبنى الشاعر صدور الهجوم على باب فاطمة عنه - من مخالفة صريحة للقران الكريم الذي اوجب مودة اهل البيت (عليه السلام) في

47 انظر الطبري تاريخ الامم والملوك: ٢ / ٤٥٨، ابن ابي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٨٧، محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ، عبد الستار الجابري: امير المؤمنين في مواجهة الانحراف الفصل الاول وتاريخ الشيعة السياسي الفصل المختص ببيعة ابي بكر، نجاح الطائي: نظريات الخليفتين  
48 شاعر النيل حافظ ابراهيم: الديوان

قوله تعالى (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربي)<sup>49</sup> وما شهدت به الروايات المتواترة عن النبي (صلى الله عليه واله) انه لم يكن يدخل دار فاطمة (عليها السلام) الا مستنذناً فيم يهدد عمر بحرق الدار عليهم، انها خطوة مهمة جداً للسلطة القرشية، ذلك لان احتفاظ اهل البيت (عليهم السلام) بمقامهم في النفوس سيعجل بانهيار الحكم القرشي وعودة الحق الى نصابه، فكانت هذه الخطوة خطوة مدروسة جداً اشتركت في اثمها جميع قبائل قريش وتحمل وزرها خذلان الانصار وكان محققها احتلال اوباش اسلم للمدينة، انها مرحلة خطيرة جدا بالنسبة لقريش وان عليهم ان يرتكبوا كل الموبقات للوصول الى سدة الحكم وازواء الحكم عن علي (صلوات الله عليه)<sup>50</sup>.

وقد ارخ العلامة الكمباني واقعة الدار بارجوزته العصماء:

قال سليمٌ قلتُ يا سلمانُ هل دخلوا ولم يكو استنذانُ

فَقَالَ إِي وَعِزَّةِ الْجَبَارِ وما على الزهراءِ من خمارِ

لكنها لاذتُ وراءَ البابِ رعايةً للسترِ والحجابِ

فمذُ رأوها عصروها عصره كادت بنفسي أن تموتَ حسره

نادت أيا فضةً أسنديني فقد وربي أسقطوا جنيبي

فأسقطت بنتُ الهدى وا حزناً جنيئها ذاك المسمى مُحسِنَا

أثُضِرْمَ النارِ بِيَابِ دَارِهَا وآيةُ النُورِ على منارِها

وبابُها بابُ نبي الرحمةِ وبابُ أبوابِ نِجاةِ الأُمَّةِ

بل بابُها بابُ العليِّ الأعلى فثمَّ وجهُ اللهِ قد تجلَى

فاكْتَسَبُوا بالنارِ غيرَ العارِ ومن ورائِه عذابُ النارِ

ما أَجْهَلَ القومَ فإن النارَ لا تُطْفَأُ نورَ اللهِ جَلَّ وعلَى

فاحْمَرَّتِ العينُ وعينُ المعرفةِ تُدْرَفُ بالدمعِ على تلك الصِفةِ

ولا يُزِيلُ حُمْرَةَ العينِ سوى ببيضِ السُيوفِ يومَ يُنْشَرُ اللِوا

وللسياطِ رَنَّةٌ صَدَاها في مَسْمَعِ الدَّهْرِ فَمَا أَشْجَاهَا

والأثرُ الباقِي كَمِثْلِ الدُمْلُجِ في عَضْدِ الزَّهْرَاءِ أَقْوَى الحُجَجِ

49 امالي المفيد: 152، البحار: 102/27، الغدير: 207/2، المحاسن: 144/1، قرب الاسناد: 78، الكافي: 1/413، 295، 93/8، دعائم الاسلام: 67/1، المستدرک: 172/3، مجمع الزوائد: 103/7، مسند ابن الجعد: 321، كتاب السنة: 620، تثبيت الامامة: 28  
50 انظر جعفر مرتضى العاملي: مأساة الزهراء، سليم بن قيس الهلالي: كتاب سليم، بحار الانوار الجزء المختص بحياة السيدة الزهراء صلوات الله عليها، غلام غيب غلامي: احراق باب فاطمة

ومن سَوَادٍ مَتَّيْهَا اسْوَدَ الْفُضَا      يا سَاعِدَ اللّٰهِ الْاِمَامَ الْمُرْتَضٰى  
وَوَكَّرَ نَعْلَ السَّيْفِ فِي جَنِّيْهَا      اَتٰى بِكُلِّ مَا اَتٰى عَلَيْهَا  
وَلَسْتُ اَدْرِي خَبَرَ الْمِسْمَارِ      سَلَّ صَدْرَهَا خِزَانَةَ الْاَسْرَارِ  
وَفِي جَبِيْنِ الْمَجْدِ مَا يُدْمِي الْحَشَا      وَهَلْ لَّهُمْ اِخْفَاءُ اَمْرٍ قَدْ فَشَا  
وَالْبَابُ وَالْجِدَارُ وَالِدِمَاءُ      شُهُودٌ صِدْقٍ مَا بِهَا خَفَاءُ

لَقَدْ جَنَى الْجَانِي عَلَى جَنِيْهَا      فَانْدَكَّتِ الْجِبَالُ مِنْ حَنِيْنِهَا  
اَهْكَذَا يُصْنَعُ بِاَبْنَةِ النَّبِيِّ      حِرْصًا عَلَى الْمُلْكِ فَيَا لِلْعَجَبِ  
اَثْمَعُ الْمَكْرُوْبَةَ الْمَقْرُوْحَه      عَنِ الْبُكَاءِ خَوْفًا مِنَ الْفَضِيْحَةِ  
وَاللّٰهُ يَنْبَغِيْ لَهَا تَبْكِي دَمًا      مَا دَامَتِ الْاَرْضُ وَذَارَتِ السَّمَاءُ  
لَقَدْ عَزَّهَا اَبِيْهَا السَّامِي      وَلا هَتْصَامِهَا وَذِلَّ الْحَامِي  
لَكِنْ كَسَرَ الضَّلْعَ لَيْسَ يَنْجِبُز      اِلَّا بِصِمْصَامِ عَزِيْزٍ مُّقْتَدِرِ  
اِذْ رَضُ تِلْكَ الْاَضْلَعُ الزَّكِيَّةُ      رَزِيَّةً مَا مِثْلُهَا رَزِيَّةُ

#### 4. تأميم ممتلكات اهل البيت (عليهم السلام)

من الامور الاخرى التي قامت بها الادارة القرشية في سبيل اضعاف اهل البيت (عليه السلام) من الناحية الاقتصادية والسياسية والتي لها اثر اجتماعي مهم قضية تامين املاك اهل البيت (عليه السلام) ففدك والعوالي من الاموال التي نحلها رسول الله (صلى الله عليه واله) للسيدة فاطمة (صلوات الله عليها) وفي حياة رسول الله (صلى الله عليه واله) كان عمال فاطمة يعملون فيها وكانت واردتها توضع بين يدي رسول الله (صلى الله عليه واله) لبيدنها فيما يراه مناسباً لرفع شأن دولة الاسلام، فهي في ذلك كأمرها السيدة خديجة (رضوان الله عليها) التي بذلت كل امكانياتها المادية في سبيل خدمة الدعوة الى الله حتى قيل ان الاسلام حفظ بسيف علي واموال خديجة، فكانت سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام) في القضايا المالية كسيرة ابيها (صلى الله عليه واله) وامها (رضوان الله عليها) وبعلمها امير المؤمنين (عليه السلام) الذين كانوا يبذلون كل ما عندهم في سبيل ثم يبيتون طاوين لا يجدون ما يأكلون حتى اعظم الله تعالى لهم ذلك فانزل سورة الانسان لتحكي عظيم التضحية بدنياهم في سبيل الله، في الوقت الذي كانوا غير ملامين لو تمتعوا باليسير من الامكانيات المادية الا انهم جعلوا طلب القرب منه تعالى مقدم على دنياهم.

وبعد وصول العصاة القرشية الى السلطة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله) وهم يعلمون الاهمية المالية لفدك والعوالي وانهما اذا بقيتا فستكونان رافداً لعلي (صلوات الله

عليه) في اعادة سلطانه المنتهب فكان قرارهم مصادرتها والتصرف بوارداتها بما يعزز سلطانهم<sup>51</sup>، فكانت هذه الخطوة تهدف الى اضعاف الواقع الاجتماعي لاهل البيت (عليهم السلام) من خلال التضييق عليهم مادياً، فمما لا شك فيه ان للمال دور في تنمية العلاقات الاجتماعية اذ ان اغاثة الملهوف وقضاء دين المدين وسد حاجة المحتاج واقرء الضيف ودعم الانصار للمال فيه دور كبير، فلذا عمد لتجفيف منابع الحضور الاجتماعي الفاعل لاهل البيت (عليهم السلام) من خلال مصادرة اموالهم، وهذه السياسية تتنافى تماماً مع القيم الروحية للاسلام وما جاء به النبي (صلى الله عليه واله) نعم هي امتداد لأخلاق الجاهلية واعراف البداوة في القضاء على الخصوم وامتداد للمرض الاجتماعي لقبائل قريش تجاه بني هاشم الذي شهد به ابو جهل المخزومي حيث قال كنا وبني هاشم كفرسي رهان فلما اطعموا فاطمنا وسقوا فسقينا فلما تساوت الركب قالوا منا نبي فمن يقدر على ذلك<sup>52</sup>.

ان المنهج الاسلامي يحترم المال الخاص ولا يتعرض له بسوء حتى لو كان ذلك المال لاهل الكتاب فضلاً عن المنافقين الذين يظهرون الاسلام، الا اذا اعلنوا حرباً صريحة ووقع السيف بينهم وبين المسلمين، وفي ذلك حفظ للقوى الاجتماعية وبيان للعالم كله ان الاسلام كدين مبني على الايمان بقيمه ومبادئه وكدولة يكفي فيها المواطنة وعدم الاضرار بأمنها ومؤسساتها واحترام دستورها والتقيدها، وان المجتمع يحفظ بكبرائه وبقيمه الاخلاقية والاجتماعية، نعم الكل متساوون في الحقوق والواجبات والقانون هو الحاكم فوق الجميع، الا ان التفاوت بين الافراد امر تكويني فلكل موقعه وحقه ويجب ان تحفظ كرامته، هذه هي مباني الاسلام العظيمة التي طبقها رسول الله (صلى الله عليه واله) بكل وضوح ومن يراجع غزوة طي وحديث سفانة بنت حاتم مع النبي (صلى الله عليه واله) يستكشف طبيعة الاحترام الذي تعامل به النبي (صلى الله عليه واله) مع تلك الاسيرة لان اباها كان يحب مكارم الاخلاق<sup>53</sup>، فان رعاية ذوي المكانة الاجتماعية من قيم الاسلام الاصيلية، كما ان من يلحظ سيرة المسلمين مع قوم السيدة جويرية بنت الحارث التي كانت بين سبي قومها فاعتقها رسول الله (صلى الله عليه واله) وتزوجها بعد ان اختارته على اهلها، فاعتق المسلمون ما بين ايديهم من سبايا واسارى ممن كانوا غنائم حرب وتنادوا بينهم ان اصهار

51 فذك في التاريخ للسيد الشهيد الصدر، السقيفة وفك، امالي الصدوق:619، الخصال:104، 173، 607، علل الشرائع:176/1، عيون اخبار الرضا:92/1، 211/2، تحف العقول:345، 430، تهذيب الاحكام:149/4، 148، مختصر بصائر الدرجات:191، شرح اصول الكافي:220/7، كتاب سليم بن قيس:226، 263، 390، مناقب امير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي:159/1، الهداية الكبرى:178، 406، الاحتجاج:119/1، مسند احمد:4/1، 10، صحيح البخاري:25/5، 3/8، صحيح مسلم:155/5، السنن الكبرى:300/6، شرح مسلم للنووي:72/12، مجمع الزوائد:49/7، مصنف الصنعاني:472/5، المعيار والموازنة:42، 229، تركة النبي حماد بن زيد البغدادي:82

52 مناقب ال ابي طالب:47/1، شجرة طوبى:230/2، تفسير البغوي:128/2، تفسير النسفي:344/1، تفسير الرازي:173/13، تفسير البيضاوي:45/2، تفسير ابن كثير:48/3، الدر المنثور:187/4، البداية والنهاية:83/3، سيرة ابن اسحق:170/4، عيون الاثر:146/1، سبل الهدى والرشاد:352/2، السيرة الحلبية:497/1

53 تاريخ مدينة دمشق:197/6، اسد الغابة:475/5، الاصابة:180/8، تاريخ الطبري:376/2، البداية والنهاية:76/5

رسول الله (صلى الله عليه واله) لا يسترقون<sup>54</sup>، فكان فعل المسلمين انعكاس لخلق اجتماعي يحفظ كرامة من له قيمة اجتماعية مرموقة فالمسلمون رأوا ان ليس من المناسب ان يكون صهراً لرسول الله (صلى الله عليه واله) وقريباً لزوجته السيدة جويرية بنت الحارث عبداً مسترقاً، فهذه قيم زرعها الاسلام في نفوس المسلمين، ولو نظرنا لوجدنا ان المسلمين في القضيتين المذكورتين بذلوا اموالهم اكراما لرسول الله (صلى الله عليه واله) لان غنائم الحرب ملك للمقاتلين بعد اخراج خمسها، ولكن الذي حصل بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) كان انقلاباً على القيم الاجتماعية التي اصلت في نفوس المسلمين في ايام رسول الله (صلى الله عليه واله) وبدلاً من حفظ كرامة اصحاب المقام الاجتماعي السامي الذين لا يبلغ مقامهم احد عمدت السلطة الى مصادرة اموالهم ظلماً وعدواناً لإضعاف موقعهم في نفوس الامة والحط من قدرهم، وكان هذا دين السلطة مع كل الشخصيات الاجتماعية التي لم تكن على وئام مع منهجيتهم، حيث حطوا من قدر سعد بن عبادة الخزرجي الذي كانت الاوس والخزرج في سقيفة بني ساعدة تكاد ان تبايعه قبيل وصول ابي بكر وعمر الا ان مسارعة بشير بن سعد الخزرجي الى بيعة ابي بكر فتت في موقف الانصار وتسارعوا لبيعة ابي بكر منهين بذلك دور الانصار السياسي في الدولة، والحال نفسه جرى مع مالك بن نويرة (رضوان الله عليه)، فلم تبق لذي مقام اجتماعي كرامة مادام لا يسير ضمن المخطط الذي رمت اليه قريش في سبيل سيطرتها على مقاليد حكم الدولة.

## 5. رفض دعوى السيدة فاطمة فداً ورد شهادة امير المؤمنين (عليه السلام) والحسنين

### (صلوات الله عليهما)

من القضايا الاجتماعية التي عمدت اليها السلطة القرشية لتدعيم سلطانها هو ردهم لدعوى الزهراء (عليها السلام) انها تملك فداً وانها نحلته من رسول الله (صلى الله عليه واله)، ولما طلبوا منها الشهود جاءتهم بامير المؤمنين (عليه السلام) وام ايمن الحبشية (رضوان الله عليهما) والحسنين (صلوات الله عليهما) الا ان السلطة الحاكمة رفضت قبول شهادتهم بان رسول الله (صلى الله عليه واله) انحلهما فداً والعوالي، وهي مسألة في غاية الخطورة اذ لم اظهرت السلطة الحاكمة ان اهل البيت (عليه السلام) ليست لهم اية خصوصية، بل اظهرت السلطة بردها شهادة امير المؤمنين (عليه السلام) وقولهم انهم يدني النار من قرصه انه لا يقرون بعدالته (صلوات الله عليه) وهو الذي امر الله تعالى بطاعته مجردا عن كل شرط، وهو من اخبر رسول الله (صلى الله عليه واله) انه عدل القران في الدلالة على الهدى، ان هذه المسألة من الناحية العقائدية والفقهية والاخلاقية غاية في الخطورة،

54 المجموع:306/19، تكملة حاشية رد المختار:1/266، المغني:12/340، الشرح الكبير:12/341، الغارات:2/817، البحار:20/290، مسند احمد:6/277، سنن ابي داود:2/236، مستدرک الحاكم:4/27، السنن الكبرى:9/75، الطبقات الكبرى:8/117

فرسول الله (صلى الله عليه واله) اكرم سفانة بنت حاتم الطائي لان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وتأتي فاطمة (صلوات الله عليها) التي اخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه واله) انها سيدة نساء اهل الجنة، وانها روحه التي بين جنبيه، فترد دعواها لحق لها تأتي بعدل الله ليكون شاهداً لها فترد شهادته وبولديها الذين اخبر رسول الله (صلى الله عليه واله) انهما سيدا شباب اهل الجنة وانهما عدل القران الكريم في الدلالة على الهدى فترد شهادتهم، وقريش والانصار جلوس وقد سمعوا كلام الله ووعوه، انهم كانوا واقعين تحت تأثير مقتضيات هيمنة قريش على العرش، فرموا وراء ظهورهم كل ما تقتضيه العقيدة والشرعية والاخلاق والقيم الاجتماعية من وجوب اكرام ال بيت النبي (صلى الله عليه واله) واعلاء قدرهم والرجوع اليهم في كل شيء يتعلق بدين الناس وديناهم، الا ان قريشا المتسلطة سعت الى هدم هذه القيمة الاجتماعية والمرجعية الروحية لاهل البيت (عليهم السلام) لان مقتضيات استمرار تسلطهم على رقاب المسلمين بلا وجه حق.

## 6. المنع من تدوين حديث رسول الله (صلى الله عليه واله)

كان من مقتضيات استمرار السلطة القرشية المنع من تدوين حديث رسول الله (صلى الله عليه واله) وقد عمدوا الى ذلك في حياته (صلى الله عليه واله) حيث روي ان عبد الله بن عمر اراد ان يكتب حديث رسوله الله (صلى الله عليه واله) فنهاه القرشيون عن ذلك وقالوا انه رجل يصيب ويخطئ، ثم عمدوا الى ما دون في ايام النبي (صلى الله عليه واله) فاحرقوه<sup>55</sup>، ومنعوا تدوين السنة النبوية لان التدوين يعني ضبط احاديث النبي (صلى الله عليه واله) ومنع التلاعب المستقبلي بها، واستمر المنع الى زمان عمر بن عبد العزيز الاموي الذي شعر ان عدم تدوين السنة من شأنه ان يتسبب في ارباك الامور الادارية للدولة فامر بالتدوين فدون المدونون كل ما وقفوا عليه دون تمييز بين الموضوع والصحيح والمحرّف فلما تطور تاريخ التدوين ووضعت قواعد الجرح والتعديل اسقطت الالاف من الروايات عن الاعتبار<sup>56</sup>، ان مسألة التجهيل بالسنة النبوية ولدت اجيالاً لم تفهم الدين فهماً صحيحاً الامر الذي ترك اثره السلبي على واقع المسلمين الفقهي والاداري والاجتماعي، اذ كل بلدة كانت تأخذ عن الصحابة الذي كانوا فيها وغالبهم كان قليل الحضور عند النبي (صلى الله عليه واله) والاستماع اليه على تعبير بعضهم شغلنا عن رسول الله (صلى الله

55 انظر جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء الفصل الخاص بابي بكر، مقدمة جواهر الفقه لابن البراج، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: المقدمة 27، رياض المسائل: المقدمة: 12، وضوء النبي: 200/1، 207، 228، 242، تنوير الحوالك: 4، وسائل الشيعة : مقدمة التحقيق: 10/1، النص والاجتهاد: 140، جامع احاديث الشيعة: 2/1، الغدير: 297/6، اضواء على الصحيحين: 41، دراسات في الحديث والمحدثين: 21، محو السنة او تدوينها للشيخ غيب غلامي، مقدمة فتح الباري: 6، صحيفة همام بن منبه: المقدمة، مصنف الصنعاني: 257/11، جامع بيان العلم وفضله: 64/1، كنز العمال: 291/1، اضواء على السنة المحمدية لمحمود ابو رية، تدوين القران: 365، الطبقات الكبرى: 287/3  
56 انظر مقدمتي صحيح البخاري وصحيح مسلم.

عليه واله) الصفق في الاسواق<sup>57</sup>، ونتج عن هذه السياسية تضييع السنة النبوية وخطاها بما ليس منها، وتحكيم اهواء السلطة في ما يكتب المدونون ويخفون ما لا يرتضيه المتربع على عرش الدولة، فكانت هذه الامة في واقعها الاجتماعي كما كان بنو اسرائيل الذين حرفوا الكتاب عن مواضعه، غاية الامر ان الله تعالى عصم القران الكريم من ان تتاله يد التلاعب والتزوير ولكن تلك اليد الاثمة نالت من السنة النبوية المطهرة التي هي ترجمان القران الموضح لمجمله ومتشابهه والمبين لاحكامه وسننه، فنشأ جيل على الخلل الفكري الذي نقله له من لم يكن اهلا في حفظ السنة النبوية ولا في فهم الايات الكريمة.

## 7. الغاء مرجعية اهل البيت (عليهم السلام)

مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) من الامور التي قام عليها الدين الحنيف ودلت عليها النصوص القرآنية والسنة النبوية المطهرة وتكفي اية التصديق بالخاتم<sup>58</sup> وحديث الثقلين<sup>59</sup> وبيعة الغدير<sup>60</sup> ادلة ثابتة عليها لمن لم يجعل هواه دليلا، ولكن الذي حصل بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) الغاء تام لمرجعية اهل البيت (عليهم السلام) ووضعهم دون موضعهم الذي وضعهم الله فيه، وابدال مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) بمرجعية الحكام، فاصبح الحاكم هو المرجع للامة وعليها طاعته وقهروا الامة على قبول ولاية الحاكم واكرهوهم على العمل بها، وهكذا اصبح المجتمع مسيراً بارادة الحاكم، ومرجعه في تشخيص الاحكام والامور هو السلطة الحاكمة، وتنامى الامر مع السنين واصبح المجتمع يرى قدسية الحكام ثم بعد ذلك تحول الى المجتمع الى تقديس كل من عاصر رسول الله (صلى الله عليه واله) وقد ادت سياسة منع تدوين الحديث الى ضم سير الصحابة والتابعين الى ادلة التشريع بحيث لم يصبح عن مجتمع عامة المسلمين انحصار ادلة التشريع بالقران والسنة المطهرة، بل تعداه الى سيرة الصحابة واقوالهم الفقهية وفتاواهم واقبيستهم لتصبح ادلة لهم في التشريع واستنباط الاحكام، وهكذا لم يعد التشريع منحصراً بالقران الكريم والسنة النبوية بل تعداه الى دائرة اوسع وهذا يكشف عن خلل اجتماعي عظيم اسست له السلطة القرشية بعد النبي (صلى الله عليه واله) وظهرت نتائجه بينة في اواخر العصر الاموي وبداية العصر العباسي، وقد عمد الامويون والعباسيون الى تاصيل الانحراف عن مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) في المجتمع باساليب وطرق متعددة تعرض لها المتقدمون في ثنايا كتبهم<sup>61</sup>.

57 السنن الكبرى للنسائي: 440/3

58 (انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)

59 (اني مخلف فيكم ما ان تمسكتكم به لن تضلوا بعدي ابدأ كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)

60 (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)

61 فيما يتعلق باضافة راي الصحابي الى ادلة التشريع انظر الفصول في علم الاصول للجصاص الباب المختص بقول الصحابي.

## 8. التمييز الطبقي

عمد التشريع الاسلامي الى المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات، وان المسلمين سواسية كاسنان المشط، وان المناط في التمايز بين المسلمين هو التقوى<sup>62</sup>، والتقوى امر خفي لا يقف عليه الا الله تعالى ومن اختصهم بالاطلاع على الخفايا، اما مظاهر التقوى فيمكن ان يشخصها الفرد بعد معرفته لمناطات التقى التي نطقت بها الشريعة الالهية، وكان هذا المناط مطبق في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله) - المعين من قبل الله تعالى للاشراف على تطبيق الشريعة واحكام الدين وقيمه - وكان (صلى الله عليه واله) اولاً يطبق تلك الاحكام على نفسه وخاصة حتى انه زوج بنت عمه السيد زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة مع الفارق الاجتماعي الكبير بينهما فالسيدة زينب سليلة النسب والحسب القرشيين فامها بنت عبد المطلب (رضوان الله عليه) سيد البطحاء فهي بنت عمه النبي (صلى الله عليه واله)، وزيد لم يكن سوى مولى اسود اللون عاش في خادماً للسيدة خديجة (رضوان الله عليها) فوهبته للنبي (صلى الله عليه واله)، الا ان اثبات المساواة بين المسلمين على اسس التقوى كانت هي المناط<sup>63</sup>، كما ساوى النبي (صلى الله عليه واله) بين المسلمين في العطاء<sup>64</sup>، والعطاء في تعبير اليوم هو ما تقدمه الدولة من دعم مالي للمواطنين لغرض تحسين حياتهم الاقتصادية وفي تلك الازمنة لم تكن الدولة تتبنى توفير الخدمات العامة بل العمل ينجزه القطاع الخاص فلذا كانت الدولة تقدم الاعانات المالية بصورة مباشرة للمواطن، فكان العربي والاعجمي والحر والعبد والكبير والصغير يستلمون قدراً متساوياً من المال، ولكن الامر لم يستمر كذلك فما ان وصل عمر الى سدة الحكم حتى قانون التمييز الطبقي فميز في العطاء بين على اسس عرقية وعشائرية ففضل قريش على الانصار وفضل الانصار على سائر العرب وفضل العرب على سائر العجم وفضل الاحرار على العبيد، فاسهم ذلك التمييز الطبقي في ظهور طبقيه واضحة في المجتمع المسلم وعلى نهج عمر سارت المناهج التي جاءت بعده ليمثلها عثمان باقصى طرق التمايز حيث فضل بني امية على الجميع واختصهم باموال المسلمين واصبحت بيت مال المسلمين ملكاً صرفاً للامويين يعبثون به كيف يشاؤون، فظهر الثراء الفاحش في بيوت الزعامات القرشية حتى قيل ان في مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس اصيل كانت ترعى في البقيع فضلاً عن

62 (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

63 لم يستمر زواج السيدة زينب (رضوان الله عليها) من زيد بن حارثة (رضوان الله عليه) طويلاً لعدم الانسجام بينهما فطلقها زيد، فامر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه واله) ان يتزوجها، وفيه جنبه تشريع صرح به القرآن الكريم حيث كان العرب يعتبرون زوجة المتبنى زوجة ابن فلا يتزوجونها فرع الله حكم الجاهلية ذلك بزواج النبي (صلى الله عليه واله) من السيدة زينب (رضوان الله عليها)، وفيه كذلك جنبه تكريم فانها (رضوان الله عليها) رضيت بالزواج من زيد احتراماً وطاعة لرسول الله (صلى الله عليه واله) فاراد الله تعالى ان يكرمها لطاعتها نبيه (صلى الله عليه واله) فامر به بالزواج منها.

64 الامام الصادق لعبد الحلیم الجندی: 314، حياة الامام الحسين عليه السلام: 1/328، 412، شرح احقاق الحق: 32/199، الف سؤال واشكال: 530/2، نظريات الخليفين: 56/2، مكاتيب الرسول: 412/2، شرح النهج لابن ابي الحديد: 111/8، جواهر التاريخ: 199/1

الابل والذهب والفضة والضياع، ومات احدهم وترك من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس، بل اصبحت الاقطاعات الزراعية والممتلكات والقصور امراً مشهوداً للزعامات القرشية فعبيد الله بن عمر كانت له اقطاعية ضخمة سميت بكويفة ابن عمر، وحى عثمان الكلاً فلم يسمح للمسلمين برعي مواشيهم في الحمى الخاص به، وكتب السير والتاريخ زاخرة بالكثير من هذه الوقائع التي انحرف فيها المجتمع عن سيرة النبي (صلى الله عليه واله) الذي كان يبذل كل ما يصله في سبيل اعلاء كلمة الله ليتحول الى اكتناز للذهب والفضة وتفاخر بينهم في ذلك وتحولت الحياة الى حياة قصور وبذخ خاصة بعد القضاء على الامبراطوريات المجاورة والاستيلاء على ما حوته القصور والخزائن من الذهب والفضة والمجوهرات والاحجار الكريمة والجواري الجميلة والسبايا والعبيد الذين كانوا يتاجرون ببيعهم حتى ازدهرت اسواق النخاسة وبيع العبيد والجواري<sup>65</sup>.

لقد حول التمييز الطبقي الواقع الاجتماعي للمسلمين من واقع التكافل والتراحم واعتماد التقوى ميزاناً في التعامل بين الناس الى حياة مادية الى درجة كبيرة ادت الى ضياع الحقوق وانتهاك الكرامات وتحول المجتمع رويداً ورويداً الى عبيد للحكام بعد ان كان ينتظر منهم حسب قيم الدين الاسلامي ان يكونوا عبيداً لله احراراً في دنياهم.

## 9. اشغال الامة بالغزو وتجهيلها بامور الدين

تم للسلطة القرشية القضاء على الحركة السياسية المخالفة في المدينة والمتمثلة بموقف امير المؤمنين (عليه السلام) والثلة المؤمنة التي بقيت وفيه لعهد رسول الله (صلى الله عليه واله) فيه بعد الهجوم على دار فاطمة (صلوات الله عليها) بطريقة يندى لها وجه الانسانية، والقضاء على حركة الانصار في سقيفة بني ساعدة، وخارج المدينة برسالة القوات العسكرية بقيادة خالد بن الوليد المخزومي بطل فرسان المشركين يوم احد واحد اعمدة التأسيس لحكم قريش منذ بداية انهيار المعسكر القرشي في صلح الحديبية، وقد نهض بالمهمة على اكمل وجه فقضى على كل المخالفين للسلطة القرشية سواء منهم من كان مؤمناً متديناً بالاسلام كمالك بن نويرة وقومه الذين قتلهم خالد غيلة وغدراً ام ممن ارتد عن الاسلام كمسيلمة الكذاب<sup>66</sup>.

وبقيت السلطة القرشية تواجه خطراً اخرى، وهو خطر وعي الامة، فان الامة اذا انتهبت الى انها خالفت رسول الله (صلى الله عليه واله) الذين تدعي انها ترجع اليه في كل شؤونها وتأخذ منه احكام دينها، وان شرع سيد المرسلين واحكام دينه تقتضي ان يكون مرجع الامة

<sup>65</sup> انظر الغدير: 284/8، تاريخ ابن خلدون: 204/1، اعيان الشيعة: 346/1، الفتوح: 369/2، الصحيح من سيرة النبي الاعظم: 342/2،

البحار: 225/21، شرح نهج البلاغة: 61/3، تاريخ يعقوبي: 163/2، الجمل للشيخ المفيد: 95

<sup>66</sup> الايضاح: 132، 182، الغارات: 772/2، شرح الاخبار: 364/1، المشترشد: 383، البحار: 436/10، الغدير: 163/7، شرح

النهج: 13/186، 152/17، 204، الطبقات الكبرى: 396/7، فتوح البلدان: 106/1، تاريخ الطبري: 166/2

من بعده هم اهل بيته (عليهم السلام) فإن ذلك سيولد خطراً كبيراً على مستقبل سلطة قريش التي عمدت الى تسخير الدين لصالحها، ولذا كان لابد من اختيار برنامج يلهي المجتمع المسلم عن التعلم والتفكير وان تبني الاجيال بالشكل الذي يضمن بقاء واستمرار الزعامة القرشية على العالم الاسلامي وان يكون المجد الذي بناه محمد (صلى الله عليه واله) مجداً قرشياً وليس حكماً الهياً ودستوراً سماوياً.

فكان الخيار الامثل اشغال المجتمع بالغزو، فالعرب امة فروسية وغزو وحرب وهذا امر يشهد به تاريخهم، حيث كانوا يتفاخرون بالفروسية والشجاعة وقتل الاقران، بل ويفتخر ذوي المقتول ان كان القاتل من الابطال ومن علية القوم، حتى ان ابنة عمرو بن معد كرب بطل قريش يوم الخندق كانت تفخر ان قاتله امير المؤمنين (عليه السلام)، فقررت السلطة القرشية الاستفادة من هذه الخصلة الاجتماعية في المجتمع العربي مع اضعاف قالب الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام عليه لدفع المجتمع المسلم نحو خوض الحروب على جبهتي بلاد فارس وبلاد الروم، مع ما سيوفره الغزو والفتوحات من ثراء مادي كبير لان تلك الامم حضارات عريقة يمتد عمرها الى مئات السنين وتحوي خزائنها من الذهب والفضة والاحجار الكريمة مالم يعهده عرب الصحراء، كما تحوي قصورها ومدنها وقراها من الفتيات الجميلات مالم يدر في خلداهم فسيخطف بريق المال ابصارهم ويسلب جمال النساء الباهم فيغرقون في ملذات الحياة الجديدة وراثتها الواسع ولا يعبأون بما يرسم لهم في اروقة السياسة وادارة البلاد واعادة تشكيل العقلية الاجتماعية.

وهكذا انهارت الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية تحت سناك خيل المسلمين التي قادها القرشيون لمنع الخروج عن الدائرة التي رسمتها السلطة المركزية في المدينة، وفاز المقاتلون بالغنائم فيم ارسلت اخماس الغانم الى خزانة الدولة المركزية، فكان على جبهة العراق خالد بن الوليد ثم خلفه سعد بن ابي وقاص، وكان على جبهة الشام اسامة بن زيد ثم خلفه خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ثم ابو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص.

وفي فترة الحرب في جنوب المدينة كان الانصار بين مقاتلي الجيش، اما في الحروب على الجبهات الخارجية في شمال المدينة في بلاد فارس والروم لم يؤذن للانصار بالمشاركة الا بقدر يسير وكان عماد الجيش القبائل العربية التي حملت السلاح من اليمن وبلاد نجد وقبائل العربية في العراق والشام، ذلك لان القيادة السياسية في المدينة علمت انها اذا فسحت المجال للانصار الذين بدأوا شيئاً فشيئاً يندومون على ما بدر منهم في السقيفة فان هذا يعني عودة دعم حركة المعارضة السياسية التي تجنح نحو امير المؤمنين (عليه السلام)، واستمر ذلك طيلة عهد ابي بكر وعمر، ولما جاء عثمان الى السلطة كانت قدرة

السلطة المركزية قد استحكمت ولم يعد الانصار يشكلون خطراً يواجه السلطة خاصة بعد ان اصبح المسؤول عن بناء الثقافة المجتمعية مسلمة اهل الكتاب ككعب الاحبار ووهب ابن منبه<sup>67</sup> وتخرج على ايديهم الكثير واصبحت الحقائق مشوهة وغيرت الاحكام واصبح المجتمع يجهل حق وحقيقة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، واصبح مداراة السلطة والخشية من بطشها امر واقع في المجتمع الاسلامي ترجمه بوضوح نفي ابي ذر (رضوان الله عليه) الى الشام ومنها الى الربذة حتى مات غريباً وحيداً، وضرب عمار (رضوان الله عليه) بعد ان اجتمع مع جماعة من الصحابة على كتابة كتاب الى عثمان ينكرون عليه مخالفاته للشريعة واتفقوا على يذهبوا جميعاً الى عثمان ولكنهم عندما وصلوا باب القصر اخذوا بالتسرب خوفاً من بطش عثمان وسار عمار (رضوان الله عليه) وحيداً وسلم الكتاب الى عثمان الذي استشاط غضباً فضرب عمار وداس في بطنه حتى حمل من القصر مغمى عليه. والبطش بعبد الله بن مسعود الذي كان مسؤول بيت المال في الكوفة ورفضه لأوامر عثمان في التصرف بالمال على خلاف احكام الشريعة فضربه عثمان حتى تكسرت اضلاعه وقطع عطاؤه من بيت المال حتى فارق الدنيا متأثراً بما ارتكبه فيه عثمان واوصى ان مات ان لا يحضر جنازته عثمان ولا يخبر عن وفاته<sup>68</sup>.

وعلى عكس ما كان رسول الله (صلى الله عليه واله) في تعاطيه مع الامة حيث كان يتعامل معهم كاحد ابناء الامة من حيث الحقوق والواجبات اصبح الجهاز الحاكم يتعامل باستعلاء كبير يتجاوز حدود الشرعية والاحكام الالهية، حتى ان عامل الكوفة هو اخ عثمان لأمه شرب الخمر وصلى بالناس الصبح ثمان ركعات وقاء الخمر في محراب الصلاة وسلب منه خاتمه وهو لا يشعر فلما جاء الشهود الى الكوفة اراد عثمان التتكيل بهم لولا ان امير المؤمنين (عليه السلام) تصدى له وجلد الوليد اخ عثمان حد شرب الخمر بيده الشريفة<sup>69</sup>.

وبدلاً من ان يكون المجتمع مجتمعاً حراً يحمل هموم امة وينشر فكراً ناصحاً بعد ان يعيه ويفهمه اصبح المجتمع يداري السلطة الحاكمة حفاظاً على منافع ومصالحه ومركزه في السلطة.

67 انظر الكافي: 240/4، الامالي: 52، 203، الخصال: 474، علل الشرائع: 27/1، 29، 33، الطرائف في معرفة الطوائف: 355، احاديث ام المؤمنين عائشة: 261/2، اضواء على الصحيحين: 226، دراسات في الحديث والمحدثين: 91، 68 الابيضاح: 515، شرح الاخبار: 168/2، 278، 461، المسترشد: 217، 222، امالي المفيد: 71، 121، 164، امالي الطوسي: 710، الخرائج والجرائح: 65/1، الطرائف: 496، اليقين: 516، المحتضر: 108، وصول الاخبار الى اصول الاخبار: 76، كتاب الاربعين: 586، حلية الايرار: 264/1، البحار: 22/397، الغدير: 292/8، مسند احمد: 144/5، السقيفة وفدك: 78، مستدرک الحاكم: 344/3، 50، المعيار والموازنة: 25، 232، شرح النهج: 53/3، الطبقات الكبرى: 219/4، الامامة والسياسية: 50/1، 69 البحار: 149/31، الغدير: 17/9، تفسير القرطبي: 105/14، قاموس الرجال: 144/10، الامامة والسياسة: 50/1

فكان ما سمي بالجهاد والفتوحات في واقع الحال يهدف الى تحقيق امرين مركزيين الاول هيمنة قریش على الواقع السياسي للامة وان يكون لقریش قيادة الامة، الثاني تجهيل الامة بحقيقة الدين وتقديم دين يتلائم مع مقتضيات الحفاظ على السلطة القرشية كي يسهل بعد ذلك قيادة المجتمع الذي سيأخذ فقهه ودينه من البرامج التي ترسمها السلطة بما لها من قدرة مالية وقهر وجبروت يسهم بدرجة كبيرة في ابراز شخصيات وازواء شخصيات اخرى، وهذا حقيقة واقعية تعيشها جميع المجتمعات البشرية سواء ما كان منها قبل الاسلام او في عصور سيطرته او عصرنا الحاضر، فان للسلطة دور مهم في ارساء ثقافات معينة وقيم خاصة فمن دعاوى الدين الى الدعوة القومية ثم الى الدعوة الوطنية ضمن الحدود التي رسمتها اتفاقية سايكس بيكو وواقع الاستعمار الصليبي لبلاد المسلمين الذي كان لبريطانيا وفرنسا فيه الدور الكبير في القرنين التاسع عشر والعشرين ثم الدور الامريكي - الاسرائيلي - الاوربي في نهايات القرن العشرين واولئ القرن الحادي والعشرين.

## 10. تغيير البنية الثقافية للمجتمع المسلم

بعد اشغال القبائل العربية بالغزو والحروب وجني الاموال واقتناء الجواري، كان الخطوة اللاحقة زج الموالي في الجانب الثقافي بحيث لم يمض القرن الاول الهجري حتى اصبح قادة الخط الثقافي في بلاد المسلمين من الموالي الذين احتلت جيوش المسلمين بلدانهم وكانوا عبيداً ثم اعتقوا وهؤلاء كانوا ياخذون المعلومات ممن وجدوهم من الاساتذة الذي كانوا يدرسون في المساجد التي كانت تعتبر معاهداً علمية في ذلك الوقت فبرز الموالي كحفاظ للقران ومحدثين وفقهاء واصوليين ومؤرخين ولغويين وانزوى دور العرب انزواء كبيراً لانهم لم يكونوا اهل علم وثقافة بل كانوا اهل حرب وغنائم، وحيث ان كل متعلم انما يأخذ عن اساتذته والموالي يجهلون واقع اهل البيت (عليهم السلام) لان الموالي انما وجودوا من يتحدث باسم الاسلام مخالفاً لاهل البيت (عليهم السلام) بل كان العطاء في عهد بني امية لا يسلم الى المواطن المسلم الا بعد ان يسب علياً (صلوات الله عليه) ويبرأ منه، بل زاد الامويون على ذلك ان سب علي (صلوات الله عليه) جزء من الاذان والصلاة وكان كالذكر الواجب وكالتسبيح والتهليل والتحميد بل كان اهم، ولذا نشأت اجيال على بغض اهل البيت (عليهم السلام) والعداء لهم ولشيعتهم، نعم يستثنى من العرب الاشاعرة اليمانيون الذين حملوا التشيع فكراً ومنهجاً واسسوا سنة 82 للهجرة في مدينة قم مركزاً ثقافياً شيعياً خالصاً بعيداً عن هيمنة السلطة فحفظوا الدين من التحريف والتزوير وكان ارتباطهم مباشراً باهل البيت (صلوات الله عليهم).

وبالطريقة التي اشرنا اليها تمكنت السلطة من ايجاد منهج خاص بها عممته على جميع بلدان المسلمين لتتمكن من خلاله بالتحكم بالمجتمع المسلم على الصعيد الفقهي والعقائدي والاخلاقي وتؤسس لمنهاج جديد يسخر الدين في مصلحة السلطة الحاكمة. ولعل من ابرز الشواهد على ذلك ان اياً من علماء العامة لم يكتب شيئاً في فضائل اهل البيت (عليهم السلام) حتى ظهرت الدولة الفاطمية في المغرب وامتد سلطانها الى مصر فكتب علماء العامة في فضائل اهل البيت (عليهم السلام) لأول مرة في تاريخهم، وممن كتب في ذلك الوقت محب الدين الطبري والنسائي وابن المغازلي وامثالهم الذي اطلقوا العنان في ظل الحرية الفكرية التي سمحت بها الدولة الفاطمية التي حكمت زهاء قرنين من الزمن حتى سقطت على يد الارهابي صلاح الدين الايوبي الكردي التكريتي الطائفي.

### **المبحث الثالث: اعادة بناء البنية الاجتماعية في دولة امير المؤمنين (عليه السلام)**

#### **المطلب الاول: تأثير المنهج القرشي في المجتمع الاسلامي**

تقدم ان الاسس الاسلامية التي بني عليها المجتمع كانت تتقوم بالعقيدة والشريعة والاخلاق الاسلامية، وهي تمثل البنية الفكرية للمجتمع المسلم، والقيادة المعصومة هي التي تشرف على التطبيق الصحيح للقيم الاسلامية للمجتمع الاسلامي، وان هاتان الركيزتان الاساسيتان تم التجاوز عليهما بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) بحيث ادخلت تغييرات جوهرية على القيم والمبادئ الاسلامية التي تضمن الرقي بالفرد والمجتمع لا يصله الى مستوى اعلى درجة من الممكن ان يصل اليها، المجتمع المسلم تدرج في ايام النبي (صلى الله عليه واله) ووصل الى درجات تتناسب مع وضع مجتمع المدينة المنورة في ذلك الوقت ابتداءً من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار والتحول من عقلية القبيلة الى العقيدة الدينية ومن الزعامات القبلية الى الانضواء تحت راية رسول الله (صلى الله عليه واله) المبلغ عن الله تعالى وهو القائد وهو الحاكم وهو الاولى من المؤمنين بانفسهم واموالهم، وتحول المجتمع من مجتمع اعراف وتقاليد قبلية الى مجتمع دستوري، له دستور واحد وقائد واحد ونظام اداري واحد، واطرحت العداوات والاحن الجاهلية جانباً وحمل المهاجرون مع الانصار السيف للدفاع عن دين الله في بدر واحد والخندق ومؤتة وخيبر وذات الرقاع وحنين وغيرها من الغزوات التي قادها النبي (صلى الله عليه واله) او من يعينه اميراً على السرية التي يبعثها لحماية حدود الدولة النبوية.

اما بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله) فإن قريشاً قادت انقلاباً على القيم الروحية التي جاء بها النبي (صلى الله عليه واله) واسست لمرحلة جديدة تم فيها تبديل الفقرات الدستورية في المنهج

الالهي بما يتلائم مع مقتضيات هيمنتها على السلطة فغيرت جملة من الاحكام والغت احكاماً اخر فلم يعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدر الوحيد للتشريع وازيحت القيادة المعصومة عن الاشراف على التطبيق.

الا ان ذلك المجتمع النابض بالحياة والذي بث فيه رسول الله (صلى الله عليه واله) روح حياة جديدة قدم لاجلها الانصار ابناءهم واموالهم، وضحى فيها المستضعفون من المهاجرين بكل ما لديهم لإعلاء كلمة الله، لم يهنوا ولم يحزنوا ولم ينكفئوا، فاصطف من البداية ابو ذر وسلمان والمقداد وعمار بن ياسر (رضوان الله عليهم) مع نهج الرسالة النبوية فلم يعدلوا عن امير المؤمنين (عليه السلام) ولم يفارقوه، ولم يستبدلوا نهجه ابدأً، ورويداً رويداً ثاب الانصار الى رشدهم بعد ان رأوا عظيم الخطأ الذي اوقعوا انفسهم فيه فعادوا شيئاً فشيئاً الى احضان القيم الالهية والدعوة النبوية والهدي العلوي.

واما المجتمع القرشي الحاكم فان السنن الاجتماعية الجارية في ان مصالح الزعامات لا تبقى على الثبات بل تتغير مع الزمن خاصة مع وجود محور مدبر يتلاعب بمسير الاحداث، اذ كان بنو امية محور مجتمع السلطة القرشية الحقيقي الذين كانت الظروف لا تسمح بتصديهم للقيادة بعد النبي (صلى الله عليه واله) مباشرة لريبة الانصار بهم، ولارضاء شركائهم من بطون قريش في العمل على ازاحة القيادة الالهية عن زعامة الامة.

ولذا لم يتصد الامويون لكسب اسلم ولا لإقناع الانصار، بل كانت بطون قريش الاخرى هي من قامت بذلك لتكون نتائج سقيفة بني ساعدة خلافة ابي بكر بن ابي قحافة، الا ان القاء نظرة على سير الامور يكشف ان بني امية كانوا يخططون للبعيد حيث كان نصيبهم امارة الشام ذات الامكانيات المادية الطائلة والبعد الحضري والمدني العميق لتأثرهم بالحضارة الرومانية، فولي الشام يزيد بن ابي سفيان ثم خلفه عليها معاوية ليحكم الشام عشرين سنة اميراً ثم عشرين سنة امبراطوراً، فمن هنا يتضح ان المدبر الاساسي في التخطيط هم ال ابي سفيان ومعاوية منهم بالدرجة الاساس.

ومن الطبيعي ان لا ينتظر معاوية طويلاً فما ان استقرت الاوضاع في جزيرة العرب واليمن وانتقلت الحرب الى بلاد فارس والروم حتى توفي ابو بكر في ظرف غامض بل روي ان نديمه الخاص الحارث بن كلدة اليشكري خبير السموم اخبره انها سقيا سماً ذا مفعول بطيئ يقتل في سنتين، ودفن الخليفة سراً وكتب وصيته في الخلافة سراً ولتغطية الجريمة رووا ان عقرباً لدغته في غار جبل ثور وكان رسول الله (صلى الله عليه واله) يضع عليها من ريقه فتهدأ ثم يعود تأثير السم بعد سنتين ونصف، فهاج السم بعد سنتين من وفاة النبي (صلى الله عليه واله) فمات ابو بكر متأثراً

بسم العقرب الذي لدغه في غار جبل ثور<sup>70</sup>، وهذه القصة شبيهة بقصة قتل الجن لسعد بن عباد  
ايام عمر بن الخطاب<sup>71</sup>، فكان ابو بكر هو البديل القرشي في الاشراف على تطبيق مفاهيم الشرعية  
في الوقت الذي اقصي امير المؤمنين (عليه السلام) تماماً عن ادارة شؤون الامة.

وبعد وفاة ابي بكر خرج عمر خليفة على المسلمين وهو يرفع كتاب ابي بكر بالوصية ويدعو الناس  
الى قبول ما فيه مدعياً انه لا يعرف ما في الكتاب فهتفوا له<sup>72</sup>، وهو الذي رفض ان يكتب الرسول  
(صلى الله عليه واله) للامة كتاباً لا تضل من بعده ابدأ واتهم النبي (صلى الله عليه واله) بالهجران  
وقال حسبنا كتاب الله، وكان القرار قرار قريش وما ذلك الا مسرحية للضحك على المجتمع ذي  
العقل الضحل، فاصبح عمر بعد ابي بكر المشرف على تطبيق شؤون الشريعة بدلاً من اهل بيت  
العصمة والطهارة وهو الذي يقول شغلنا عن رسول الله (صلى الله عليه واله) الصفق في الاسواق،  
فجاء عمر بكعب الاحبار ليكون المسؤول الاول عن بناء ثقافة الاجيال ومن ذلك العهد انتشرت  
ثقافة القصاصين في المساجد حتى قضى عليها الصليبيون بعد الحرب العالمية الاولى بنشرهم  
المدارس الحديثة، في ربوع العالم الاسلامي الذي كانت السمة الغالبة عليه هيمنة النهج القرشي في  
التتقيف والذي تسبب في انهيار العالم الاسلامي تحت سناك خيل الصليبيين.

ادرك عمر بن الخطاب في اخريات ايامه ان الامويين يخططون للقضاء عليه، الامر الذي دعاه  
الى الايحاء الى ولده بالابتعاد عن طلب الخلافة وهي قضية لم يدركها ابو بكر لذلك خاضت  
عائشة وعبد الرحمن طلب السلطة والرغبة في الوصول الى سدة الحكم فلقيا حتفيهما على يد  
معاوية، بينما لم يتعرض ال الخطاب الى سوء من حكام بني امية ولا من ال الزبير.

وبعد سنين طوال تمكن عمر فيها من حماية نفسه من دسائس بني امية لم ينتبه الى دخول المغيرة  
بن شعبة على خط المؤامرة فتم القضاء عليه في المسجد النبي حيث لم يكن يتوقع ان يقتل هناك  
في وقت الصلاة على يد فيروز ابو لؤلؤة غلام المغيرة ولم ينس الامويين للمغيرة صنيعه فكان من  
الشخصيات المقربة لهم في سلطانهم<sup>73</sup>.

70 تاريخ الطبري:245/2، الكامل في التاريخ:2/419، اغتيال الخليفة ابي بكر:43، نظريات الخيفتين:144  
71 مستدرک الحاكم:253/3، شرح ابن ابي الحديد:10/111، الاكمال في اسماء الرجال:82، الطبقات الكبرى:617/3، ارمة الامامة  
والخلافة:211  
72 انظر تاريخ الطبري:252/2، الثقات لابن حبان:192/2، الكامل في التاريخ:2/425، من حياة الخليفة عمر:187، ازمة الامامة  
والخلافة:83، الامامة والقيادة:74، الخطط السياسية:234  
73 شرح الازهار: المقدمة:28/1، المدونة الكبرى:9/2، سبل السلام:56/1، نيل الاوطار:158/6، البحار:97/31 وما بعدها، صحيح  
البخاري:204/4، السنن الكبرى للبيهقي:47/8، فتح الباري:50/7، عمدة القاري:208/16، مصنف الصنعاني:476/5، مصنف  
الكوفي:576/8، بغية الباحث:185، الاحاد والمثاني:150/1 وما بعدها، شرح نهج البلاغة:186/12، الامامة والسياسة:26/1، الكنى  
والاقتاب:147/1، نظريات الخيفتين:165/2

ولم يكن لعمر خيار الا ابتداء قضية الشورى في محاولة منه للتأكيد على مبدأ تدوير السلطة في بيوتات قريش مع التزامه بايصال عثمان الى سدة الحكم<sup>74</sup>.

وانتهى الامر الى عثمان الذي كان مشروعه مغايراً لمشروع عمر بعد التطور الذي تحقق في المشروع القرشي طيلة السنوات الخمسة عشر التي كانت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله) فقرر ان يسمح للمعاصرين لرسول الله من اهل المدينة بالخروج عنها، فانتشروا في الامصار ليحقق بذلك تحولاً في سياسة التصرف باموال بيت مال المسلمين لان وجود مجموع كبيرهم منهم سيثدد عليه النكير اما مع توزعهم في الامصار واغداق الاموال على المتبقين منهم في المدينة لاسكاتهم فان الامر سيتغير حتماً، وهكذا تغير الوضع الاجتماعي العام الذي كان الزهد مظهراً واضحاً فيهم ليتحول الى منهج امبراطوري كسروي قيصري تبنى فيه القصوره الفخمة ويعيش المجتمع حالة بذخ مالي عجيب فتمتأ القصور بالجواري والعبيد وتزدهر سوق النخاسة، بعد ان كان المجتمع المسلم المجتمع الافضل في تحرير العبيد.

لقد اسهم انتشار الانصار ومحبي امير المؤمنين (عليه السلام) في مختلف بلدان المسلمين وامصارهم المهمة في الاسهام في اعادة بناء الشخصية الاجتماعية على اساس هدي القرآن والسنة المطهرة، فكان لعثمان بن حنيف الانصاري وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود الكندي ومحمد بن ابي بكر والحارث الهمداني واشباههم دوراً مهماً في اعادة بناء الوعي، والدعوة الى الانصاف ونبذ الظلم مما ولد حالة من وعي المرحلة الذي عاشه المسلمون وداعب مقتضيات حاجتهم الى العودة الى النظم الاسلامي القويم وايقاف استهتار الولاة بقيم الدين ومبانيه، وارسلوا الى العاصمة مطالبين مركز القرار بالعمل على التغيير فلم تفلح الوفود قرروا السير بمظاهرة جماهيرية سلمية الى المدينة لاجبار الامبراطور على الاستجابة الى نداء المجتمع المقهور فلم يفلح السعي لأن بطانة السوء التي كانت تحيط به كانت تهدف الى تركيع الامة واذلالها فكان الدور السلبي لمروان بن الحكم صهر الخليفة والتآمر الخفي لمعاوية على عثمان لانه كان يرى ان بقاء عثمان في السلطة سينتهي بامر الخلافة الى مروان ويخرج منها صفر اليدين فكان القضاء على عثمان مطلباً سرياً لمعاوية، فكان عثمان ضحية هوس مروان ومعاوية في كرسي الخلافة.

كان مقتل عثمان في واقعه اعلان عن تحول في الواقع الاجتماعي للمسلمين، فلم يعد المجتمع المسلم بعد الخلل الكبير والواضح في ادارة بني امية للامصار يعتقد باهلية الحكام للاشراف على تطبيق الشريعة وهذا الامر ادى في النهاية الى ايجاد مؤسسة دينية الى جنب مؤسسة السلطة بعد

74 الغدير: 363/5، عمدة القاري: 272/34، الوضاعون واحاديثهم: 477، الامامة والسياسة: 28، 42/1، خلاصة المواجهة: 37، نهج البلاغة: 3، الكافي: 24/5، الخصال: 553، علل الشرائع: 151/1، 170، معاني الاخبار: 361، مصباح البلاغة: 335، كتاب سليم بن قيس: 187، 205، الارشاد: 285/1، الفصول المختارة: 70

ان سعت السلطة الى احتواء الواقع الاجتماعي الجديد فلم يعد الخليفة هو المشرف على تطبيق مفاهيم الدين وان كان هو المتحكم بمن يكون مفتياً للامة وقاضياً لقضاتها، وهذه بذاتها ضربة عصماء للمشروع القرشي على يد المجتمع المسلم الا ان السلطة القرشية سعت الى استيعاب تلك الضربة والنزول عندها واحتوائها وتمكنت من ذلك.

كما ان المجتمع المسلم لم يعد خاضعاً خضوعاً تاماً للمشروع القرشي، وانما ظهرت فيه بوادر الانعتاق عن ذلك المشروع الا ان هيمنة قريش على السلطة واستمرارها في مشروع البطش مكن المشروع القرشي من المضي قدماً واستمرت اثاره الى اليوم فزال قريش وبقي المشروع، وان كان مع تقدم الزمن ومضي الايام يخسر مواقفه بالتدريج امام منهج اهل البيت المنهج الالهي وتلك ارادة الله تعالى التي بينها في كتابه العزيز حيث قال (كتب الله لاغلبن انا ورسلي).

### المطلب الثاني: مشروع الاصلاح المجتمعي عند امير المؤمنين (عليه السلام)

عند مراجعة ما تقدم في ثنايا البحث نجد ان المجتمع المسلم قبل تولي امير المؤمنين (عليه السلام) منصب الخلافة في 18 ذي الحجة عام 34 للهجرة النبوية المشرفة يجد الباحث ان المجتمع الاسلامي مر بمرحلتين، المرحلة الاولى هي مرحلة بناء المجتمع المسلم على ضوء هدي القرآن الكريم، والمرحلة الثانية هي مرحلة تشويه البناء الاجتماعي التي انطلقت بعد رحلة النبي (صلى الله عليه واله) في الثامن والعشرين من صفر سنة 11هجرية.

تولى امير المؤمنين (عليه السلام) ادارة الدولة سنة 34هجرية في ظرف اجتماعي حرج، حيث ان المجتمع الذي تربع على عرش ادارته (عليه السلام) تغيرت فيه العديد من القيم والمباني الاجتماعية التي اسس لها الدين الحنيف واصبح ابناء المجتمع يعتقدون ان ما وصل اليهم هو الدين الحق، فالمشكلة التي كانت تواجه امير المؤمنين (عليه السلام) في اعادة بناء المجتمع المسلم اعقد من اصل بناء المجتمع، حيث ان المجتمع في عهد النبي (صلى الله عليه واله) كان يرى انه لا بد ان يبني على اساس القيم الاسلامية التي يبينها له رسول الله (صلى الله عليه واله) فما اقره رسول الله (صلى الله عليه واله) فهو مقبول وما رفضه مرفوض، ولا توجد قيم موازية لما يأتي به النبي (صلى الله عليه واله)، اما في عهد امير المؤمنين (عليه السلام) فان الامر منعكس تماماً حيث اصبح المجتمع بعد ثلاثة عقود يعتقد ان ما بين يديه قيم اسلامية، وعلى العكس من مجتمع الدولة النبوية المطهرة الذي كان ابناءؤه يرون ان المرجعية المطلقة لرسول الله (صلى الله عليه واله). لم يكن المجتمع الجديد يرى امير المؤمنين (عليه السلام) بنفس تلك العين بل ينظر اليه كحاكم له

حق طاعة الحكام، فامير المؤمنين (عليه السلام) امام مجتمع تشكل سيرة من تقدم من ضمن مرجعياته الفكرية وعاد للقيادات القبلية دورها في التأثير على صعيد المواقف السياسية والاجتماعية.

ومما تقدم يمكن اجمال العناصر الرئيسية في حرف البنية الاجتماعية في:

1. الغاء مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) بعد النبي (صلى الله عليه واله).
2. اضافة مرجعيات في عرض مرجعية الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.
3. تعديل جملة من الاحكام بما يتناغم مع رغبة السلطان او طريقته في ادارة الدولة وان كان ذلك مخالفاً للكتاب والسنة النبوية.
4. دعم المرجعيات الثقافية التي تمتد جذورها الى الفكر التوراتي لسد الفراغ الذي خلفه منع تدوين الحديث ومنع رواية السنة النبوية والاقتصار في الثقافة القرآنية على التلاوة فقط.
5. اعتماد التمييز الطبقي على اسس قبلية وقومية بدلاً عن مبدأ المساواة القرآني.

وهذه الامور الخمس الاساسية التي يتفرع عليها العديد من الامور التي نمت وترعرت في وسط اجتماعي بلغ من العمر ما يقارب 25 سنة أي ان المولود في سنة 11 هجرية بلغ عمره 25 سنة وهو يتلقى من خلال القنوات المؤثرة في البنية المجتمعية معلوماته وثقافته، وكذلك الحال فيمن دخل الاسلام بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله)، وهذه الاجيال ترى ان مفاهيم الاسلام وقيمه هي التي تلقتها عن الاجيال التي عاصرتها، أي انها تعتبر ان ثقافتها ثقافة اسلامية حقة، لا ان ما بين ايديها عبارة عن خليط من الاسلام ومن اراء تستند الى اذواق شخصية واختيارات سياسة ومنهجية اقصائية لمن جعلهم الله تعالى امناء على ايصال احكام دينه الى الامة ولذا فان التعاطي مع هذا الواقع الاجتماعي يمر بظروف ومنعطفات غاية في الصعوبة.

ان من يراجع نهج البلاغة يكتشف مدى التحديات التي كان يواجهها امير المؤمنين (عليه السلام) في اصلاح الواقع الاجتماعي بعد التشوية الذي تعرض له في الفترة الممتدة بين وفاة النبي (صلى الله عليه واله) حتى تصديه للخلافة، ويمكن القول ان اصلاح الاجتماع مر بمرحلتين، المرحلة الاولى مرحلة بناء القاعدة المؤمنة والمرحلة الثانية مرحلة تصحيح الخلل في البنية الاجتماعية بعد توليه الخلافة.

#### المرحلة الاولى: بناء القاعدة المؤمنة

جرى امير المؤمنين (عليه السلام) في بناء القاعدة المؤمنة على النهج النبوي في بناء لبنات الدعوة الى الاسلام، فكانت جهوده (عليه السلام) موجهة في تلك الفترة الى من يتوقع فيهم الخير والصلاح

من ابناء المجتمع المسلم وكان يسانده في ذلك خلص اصحابه وهم الاركان الاربعة سلمان وابو ذر والمقداد وعمار (رضوان الله عليهم)، وكانت ساحة نشاطهم الاولى الانصار، لانهم عاصروا الفترة النبوية وادركوا الخطأ الفادح الذي وقوعوا فيه نتيجة لموقفهم في سقيفة بني ساعدة وخذلانهم امير المؤمنين (عليه السلام)، وبعد الحصار الاقتصادي الخانق الذي فرضته السلطة القرشية على امير المؤمنين (عليه السلام) توجه (صلوات الله عليه) الى عملية احياء الاراضي واستعمار البساتين لتوفر مردوداً مالياً يمكنه من توفير النفقات المالية التي يحتاجها في حركته الاصلاحية، وعمد (عليه السلام) الى العمل على بناء مجتمع جديد لا تمتد اليه يد السلطات بسهولة من خلال بنائه فكرياً وعقائدياً وتعليمه اسس الدين وقيمه بعيداً عن تشويهات السلطة فكان (صلوات الله عليه) يشتري العبيد ويعلمهم ويعتقهم بعد ان يوفر لهم من الامكانيات المالية ما يمكنهم من الحياة بكرامة وتشير الروايات الى انه (عليه السلام) اعتق الف عبد<sup>75</sup>، أي انه (عليه السلام) بنى في تلك الفترة الف اسرة مؤمنة بقيم الرسالة النبوية تلقت مفاهيمها من معين نبعها الصافي، كما كان لصوت ابي ذر (رضوان الله عليه) الداعي بكل قوة الى ضرورة الاصلاح الاجتماعي والعود الى سنة النبي (صلى الله عليه واله) تأثير كبير في واقع المجتمع الذي عانى الامرين من سياسات ما بعد النبي (صلى الله عليه واله) والتي بدا تأثيرها واضحاً في مركز العاصمة فاضطرت السلطة الى نفي ابي ذر (رضوان الله عليه) الى الشام وحاول معاوية كسبه بكل طريق فلم يفلح فكتب الى عثمان يطلب منه ابعاد ابي ذر (رضوان الله عليه) عن الشام لان دعوته بدأت تؤثر في نفوس الشاميين فأعيد الى المدينة، كما كان لسلمان الفارسي (رضوان الله عليه) دور مهم في التصحيح الاجتماعي في المدائن وتبعه على ذلك حذيفة بن اليمان الانصاري صاحب سر رسول الله (صلى الله عليه واله)، وكان لعثمان بن حيف الانصاري (رضوان الله عليه) ومن معه دور مهم في التصحيح الاجتماعي في البصرة، وكان لعمار (رضوان الله عليه) وجماعة من الانصار والقبائل الشيعية اليمانية في الكوفة كمذبح والنخ دوراً مهماً في الكوفة، ثم الدور الكبير لعمار ومحمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة (رضوان الله عليهم) في مصر، ففي سنوات الانفراج النسبي عن حركة المهاجرين والانصار تمكن المؤمنون بنهج امير المؤمنين (عليه السلام) من العمل على اعادة ثقافة الامة الى المنهاج الصحيح الذي يؤمن بمرجعية اهل البيت (عليه السلام) وضرورة العودة الى احكام الشريعة الحقة في جميع الشؤون الاجتماعية والسياسية والفكرية، وقد اسهم ذلك كثيراً في رفض المجتمع المسلم الانقياد الى الانحراف الاموي، ومنهجية التأسيس للامبراطورية الاموية، والتي كانت اول بوادرها العصيان المدني ضد الممارسات الظالمة لولاة عثمان من الامويين، والتي توجت ببيعة امير المؤمنين (عليه السلام) خليفة على المسلمين ليعود مسار الامور الى الاتجاه الصحيح.

75 البحار: 335/34، 133/41، شرح نهج البلاغة: 110/4، غاية المرام: 20/7، شرح احقاق الحق: 237/33

فالمرحلة الاولى من مراحل الاصلاح كانت تعتمد بناء القاعدة المؤمنة، والتي تبنت التصحيح في حدود دائرة محدودة توسعت شيئاً فشيئاً حتى اصبحت واقعاً اجتماعياً يتبنى الدعوة الى مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) والعودة الى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ونفي مرجعية ما عدا الكتاب وعدله والسنة النبوية المطهرة، ورفض سياسية قريش في الهيمنة على مقاليد الامور، وحيث ان السلطة القاهرة كانت بيد القرشيين فإن الحركة الاصلاحية لم تتبن المواجهة المسلحة، بل تبنت الاصلاح على الصعيد الفكري والاجتماعي والسياسي، وقد اتت تلك الحركة الاصلاحية التي اتخذت من المنهج النبوي في بناء المجتمع والفرد منهجاً وحيداً لها ثمارها بوصول من نصبه الله تعالى اميناً على تطبيقات احكام الدين وبيان شريعة سيد المرسلين.

### المرحلة الثانية: مرحلة الاصلاح الاجتماعي من موقع ادارة الدولة

تتكون الدولة بطبيعتها من الارض والشعب والسلطة، وادارة البلاد عبارة عن عقد اجتماعي بين الشعب والسلطة، مبني على اسس معينة، فاذا اصبحت الاسس لا تلبى حاجة الشعوب واصرت عليها السلطات ادى ذلك الى ثورة الشعوب ضد السلطات، وكذلك الحال فيما اذا لم تلتزم السلطات بالاسس التي تحدد طبيعة تعاملها مع الشعوب، ومثال الاول الثورة الفرنسية ومثال الثاني انتفاضة الامصار الرئيسية الثلاث الكوفة والبصرة ومصر ضد ولاة عثمان وتوجه ابنائها الى المدينة المنورة لمطالبة السلطة المركزية باتخاذ اجراءات رادعة للولاة، وحيث لم تستجب السلطة لطلب ابناء الامة بل تأمرت مع والي مصر ووالي الشام للقضاء على التحرك السلمي لابناء الامصار، انقض بعض المصريين على الخليفة وقتلوه، في الوقت الذي تخلى اهل المدينة مهاجريهم وانصاريهم وقرشيهم عن عثمان ورهطه، لأن عثمان انقلب على مبادئ تدوير السلطة بين القرشيين وهو المبدأ الذي كان الاتفاق عليه بين بطون قريش وعلى اساسه تولى ابو بكر ومن بعده عمر الخلافة واشركا بطون قريش في شؤون ادارة الدولة ولكن لما وصل الامر الى عثمان وتمكن مهندسوا خلافة قريش - بنو امية - من الوصول الى سدة الحكم قلبوا للقرشيين ظهر المجن فما ان حلت السنة السابعة لحكم عثمان بن عفان حتى انقلب على القرشيين ولم يعد لهم حضور في ادارة الدولة الامر الذي جعل من القرشيين صفا معادياً لعثمان وعلى راسهم عائشة بنت ابي بكر والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فم اتخذ سعد بن ابي وقاص جانب الحيات السليبي، هذا بالنسبة لقريش اما الانصار فانهم ادركوا بعد ايام خلافة ابي بكر وعمر ومن بعدهم عثمان الخطأ الاستراتيجي الكبير الذي وقعوا به في سقيفة بني ساعدة وحيث انهم فقدوا بعد السقيفة القدرة على المبادرة فانهم عاشوا كرعايا تنتظر ما تقول اليه الاحداث حتى اذا نعم الناس على سلطة القرشيين في عهد عثمان اختاروا الحيات السليبي، فلما بايع الناس امير المؤمنين (عليه السلام) بعد مقتل عثمان انتقلوا الى صف

امير المؤمنين (عليه السلام) وكانوا الى جنبه في الجمل وصفين ولم يكن مع معاوية من الانصار سوى النعمان بن بشير بن سعد<sup>76</sup>، في ذلك الوقت الحرج سياسياً حاول امير المؤمنين (عليه السلام) منع وقوع صدام دام بين الجماهير المعترضة وقصر السلطة لان العواقب لن تكون سليمة وتفتح على الامة باباً جديداً من الدماء والحروب، الا ان عثمان لم يلتزم بوعوده مما اضطر امير المؤمنين (عليه السلام) الى مغادرة المدينة الى ينبع.

انتهت الاحداث بمقتل عثمان وخروج الامر عن يد قريش والانصار واصبح القرار قرار الامة التي مثلها البصريون والكوفيون والمصريون، فبايعوا امير المؤمنين (عليه السلام) وبايعه الانصار ثم بايعته قريش وبايعت الناس، فكانت اول بيعة بعد يوم الغدير تتم باختيار الامة دون قهر او اجبار او مؤامرة سياسية<sup>77</sup>.

وبهذا تحولت مرحلة الاصلاح من مرحلة ما قبل الدولة الى مرحلة الدولة، ومن مرحلة بناء فئة اجتماعية تحمل هموم الامة الصالحة الى مرحلة تصحيح مسار الامة التي ابتعدت بسبب السياسات الخاطئة عن مسار الحق.

وفي هذا المختصر سنتناول المجالات الخمس التي تحركت فيها السلطة القرشية لحرف مسار الامة عن الاتجاه الصحيح لبناء مجتمع يتماشى مع الاطروحة القرشية وهذه المجالات كما مر عرضها سابقاً:

1. الغاء مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) بعد النبي (صلى الله عليه واله).
2. اضافة مرجعيات في عرض مرجعية الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.
3. تعديل جملة من الاحكام بما تناغم مع رغبة السلطان او طريقته في ادارة الدولة وان كان ذلك مخالفاً للكتاب والسنة النبوية.
4. دعم المرجعيات الثقافية التي تمتد جذورها الى الفكر التوراتي لسد الفراغ الذي خلفه منع تدوين الحديث ومنع رواية السنة النبوية والاقتصار في الثقافة القرآنية على التلاوة فقط.
5. اعتماد التمييز الطبقي على اسس قبلية وقومية بديلاً عن مبدأ المساواة القرآني.

<sup>76</sup> بشير بن سعد الانصاري اول من مسح على يد ابي بكر مبايعاً في سقيفة بني ساعدة حقدا وحسدا سعد بن عباد الذي كان الانصار يريدون مبايعته بالخلافة.

<sup>77</sup> انظر تاريخ الطبري: 65/4 وما بعدها، الغدير: 30 /9 وما بعدها، شرح نهج البلاغة: 132/2، الكامل في التاريخ: 137/3،

ومن هنا كانت الدعوة الاصلاحية لامير المؤمنين (عليه السلام) والنواة المجتمعية التي عمل على ايجادها في فترة ابعاده عن السلطة تبنت تصحيح المسار في ضمن دائرة الاصلاح المجتمعي في تلك المجالات وسوف يتم التعرض لها على نحو الاجمال:

## 1. الدعوة الى مرجعية اهل البيت (عليهم السلام)

ان الدعوة القرشية لالغاء مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) كانت تعتمد على ركيزتين الاولى تجهيل الامة باهل البيت (عليهم السلام) والثانية اظهار اهل البيت (عليهم السلام) بانهم مجرد ارحام النبي (صلى الله عليه واله) وليس لهم أي قيمة ابعد من ذلك، ولذا كان لا بد من العمل على رفع هاتين الحالتين من اذهان المجتمع المسلم، واظهار قيمة اهل البيت (عليهم السلام) على واقعها.

وقد زخرت المرويات عن امير المؤمنين (عليه السلام) بعد توليه الحكم في الاشادة باهل البيت (عليهم السلام) وبيان حقائقهم وشفع ذلك بالسيرة العطرة التي ترجمت الاسلام عملياً والتي حولت النظرة عن اهل البيت (عليهم السلام) خاصة في المجتمع الكوفي الذي عاصر اربع سنوات من حكم امير المؤمنين (عليه السلام).

ومما ورد في هذا المجال جملة من الخطب التي حوت من العلوم والمعارف في مختلف المجالات والتي جمعت بين الادب الراقي والمباحث العقائدية او الاخلاقية او التاريخية او الادارية والتي كان للشريف الرضي (قدس سره) جهد كبير في جمعها وتدوينها في المجموعة العظيمة التي عرفت بنهج البلاغة والتي تصدى العديد من الشخصيات العلمية لشرحها وبيان ما فيها من ثراء ادبي وفكري ومنهم على سبيل المثال ابن ابي الحديد المعتزلي البغدادي والشيوخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، وقد استهل الشريف الرضي (قدس سره) كتاب نهج البلاغة بالخطبة الاولى التي تتحدث عن التوحيد بنحو لم يعهد مثله في خطابات تلك الفترة الزمنية وبعبارت تكشف عن تطويع اللفظ لبيان الحقائق بنحو يعجز غير امير المؤمنين (عليه السلام) عن مثل ذلك البيان في مجالات العقيدة ولم يعهد ممن سبقه او عاصره او جاء بعده - سوى ائمة اهل البيت (عليهم السلام) - .

وعدا عن النهوض بالواقع العلمي للامة من خلال خطبه (صلوات الله عليه) في ايام الجمع وفي الاعياد والمناسبات المختلفة، فإن الرقابة بعد ان زالت في عهده عن الرواية في فضائل اهل البيت (صلوات الله عليهم) فإنها اخذت دورها بين اوساط الامة من خلال من عاصر النبي (صلى الله عليه واله) من المنصفين من المسلمين الذين اتخذوا البصرة والكوفة والمدينة محالاً

لسكناهم فكانوا يرفدون الامة بفضائل امير المؤمنين (عليه السلام) فضلاً عن مناشدته لجملة من الصحابة لبيان بعض فضائله ومما يروى في هذا المجال انه (صلوات الله عليه) استشهد انس بن مالك الانصاري على حديث الغدير فادعى انه كبر ونسي فدعى (عليه السلام) عليه ان يصاب ببياض لا تواربها العامة ان كان انس كاذباً فاصيب انس وبقيت علامة في وجهه، وكان انس من المخالفين لامير المؤمنين (عليه السلام) حتى في حياة النبي (صلى الله عليه واله) ويشهد على ذلك حديث الطير<sup>78</sup>.

وبهذا الجهد الكبير الذي بذله امير المؤمنين (عليه السلام) وخلص اصحابه اعيد توجيه اذهان الامة الى مرجعية اهل البيت (عليه السلام) واسهم ذلك في تعزيز وجود قسم من الامة اصبحوا لا يأخذون معالم دينهم الا عن اهل البيت (عليهم السلام) وقد ولد ذلك عبئاً كبيراً على معاوية بن ابي سفيان عندما ابتز الخلافة من اهلها وسلب امر الامة بالمكر الخديعة والمال والسيف، فعمد الى سب علي (صلوات الله عليه) على المنابر في كل اقطار الامة الاسلامية وتبعه على ذلك بنو امية ومنع الرواية عن امير المؤمنين (عليه السلام) وحذف اسماء محبيه من ديوان العطاء، بل وحجب العطاء عن لا يسب علياً (صلوات الله عليه) عند توزيع الاعطيات.

قال امير المؤمنين (عليه السلام) يصف موقع اهل البيت (عليهم السلام) في هداية الامة )

موضع سره ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه . وجبال دينه . بهم أقام انحاء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه . ( ومنها يعني قوما آخرين ) زرعوا الفجور : وسقوه الغرور . وحصدوا الثبور ، لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا . هم أساس الدين . وعماد اليقين . إليهم يفئ الغالي . وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية . وفيهم الوصية والوراثة . الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله)<sup>79</sup>

وقال (صلوات الله عليه): ( بنا اهتديتم في الظلماء . وتسنتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار . وقر سمع لم يفقه الواعية وكيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة . ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر . وأتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلاباب الدين وبصرنيكم صدق النية . أقمتم لكم على سنن الحق في جواد المضلة، حيث تلتقون ولا دليل . وتحقرن ولا تميهون . اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان غرب رأي امرئ تخلف عني ما

<sup>78</sup> نهج البلاغة:4/74 رقم311، المسترشد:647، البحار:32/96، 37/197، الغدير:1/166 وما بعدها، شرح نهج

البلاغة:4/19، 4/317، المعارف لابن قتيبة:58

<sup>79</sup> نهج البلاغة:1/29 خ 2

شككت في الحق مذ أريته . لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال . اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظماً<sup>80</sup>

## 2. الغاء ماعدا مرجعية الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة واهل البيت (عليهم السلام)

تقدم ان قريشاً اوجدت مرجعيات في عرض مرجعية الكتاب العزيز والسنة المطهرة والتي برزت بوضوح في الكتب الفقهية والاصولية في القرن الاول للهجرة والتي اعتبرت مصادر للتشريع في عرض الكتاب والسنة منها القول بالرأي والقياس وقول الصحابي وفعل الصحابي وقول التابعين وفعالهم واجماع اهل الامصار والمصالح المرسله والاستحسان وغير ذلك من المرجعيات الفقهية التي يستند اليها اتباع المدرسة القرشية بخطيها الاموي والعباسي في استنباط الاحكام، وهذه المدرسة امتداد للمدرسة القرشية.

تجلى الدور الاصلاحى لامير المؤمنين (عليه السلام) وخلص اصحابه في رفض مرجعية غير القران والسنة والتاكيد على ان اهل البيت (عليهم السلام) هم الملاذ الامن للامة وهم المنصوبون من الله تعالى لحفظ شريعة سيد المرسلين وبيان احكام الدين كونهم عدل الكتاب الذي لا يفارقه حتى يرثي الحوض على النبي (صلى الله عليه واله) ولذا انكر امير المؤمنين (عليه السلام) بشدة مسألة الاختلاف في الفتيا وعرض بالمفتين وبالمصحح لهم على اختلافهم فقال (عليه السلام): (ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا وإلهمم واحد ونبههم واحد وكتابهم واحد . فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه . أم نهاهم عنه فعصوه . أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه . أم كانوا شركاء له . فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ فيه تبيان كل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ . وإن القرآن ظاهره أنيق . وباطنه عميق . لا تغنى عجائبه ولا تتقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به<sup>81</sup>

بل يؤكد امير المؤمنين (عليه السلام) ان سبب الاختلاف في الامة طريق ضلال ولا يجوز ان يتبع لانه يؤدي الى الهلكة وان الاختلاف الحاصل مرجعه اما الى الجهل او الى تعمد

80 نهج البلاغة: 1/38/4 خ

81 نهج البلاغة: 18 خ

الكذب على الله ورسوله قال (عليه السلام): (علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم ابن عمر اليماني ، عن أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : قلت . لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها ، وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ، ويفسرون القرآن بأرائهم ؟ قال : فأقبل علي فقال : قد سألت فافهم الجواب . إن في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال : أيها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده ، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الإيمان ، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا ، فلو علم الناس أنه منافق كذاب ، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم " ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة . ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه ، ولم يتعمد كذبا فهو في يده ، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه . ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا أمر به وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه . وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، مبغض للكذب خوفا من الله و تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ [ وخاص وعام ] ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال

الله عز وجل في كتابه : ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فيشتبه على من لم يعرف ولم يدرك ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشئ فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيئ الأعرابي والطارى فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعون . وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخيلني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نسائه . فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني ، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكنت عنه وفنيت مسألتي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله من القرآن إلا أقرئنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها ، وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته ، منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته ، فلم أنس حرفا واحدا ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شئ لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل<sup>82</sup>

وفي هذا النص يظهر بوضوح انه (عليه السلام) يؤكد على مرجعية اهل البيت (عليهم السلام) والتي تبتدأ بشخصه (صلوات الله عليه) ثم تمتد في ابناؤه . وقال (صلوات الله عليه) معرضاً بمرجعية غير اهل البيت (عليهم السلام) وعده تلك المرجعيات مرجعيات ضلال لأنها لم تأخذ من نبع التشريع الصافي بل كانت تتبع الجهالات وتتبع الضلالات (إن أبغض الخلائق إلى الله جلان : رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة . ودعاء ضلالة . فهو فتنة لمن افتتن به . ضال عن هدي من كان قبله . مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته . حمال خطايا غيره . رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا . موضع في جهال الأمة عاد في أغباش الفتنة . عم بما في عقد الهدنة قد سماه أشباه الناس عالما وليس به . بكر فاستكثر من جمع ما قل

82 الكافي:1/ كتاب فضل العلم باب اختلاف الحديث ح1

منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن . واكتنز من غير طائر . جلس بين الناس قاضيا . ضامنا لتخليص ما التبس على غيره<sup>83</sup>

### 3. الغاء الاحكام المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه واله)

الخطوة الاخرى في الاصلاح الاجتماعي التي عمد اليها امير المؤمنين (عليه السلام) العودة بالناس الى الشريعة الحقة والغاء الاحكام التعسفية التي جاء بها الحكام ورتبوا عليها الآثار ومنها على سبيل المثال الغاء امير المؤمنين (عليه السلام) جميع التصرفات المالية التي قام بها عثمان بن عفان (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)<sup>84</sup>

وقال (عليه السلام) مندداً بجهال الامة الذين تصدوا لبيان الاحكام ظلماً وعدواناً: (فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به. فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت. لا يدري أصاب أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ . وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب)<sup>85</sup>

وهو (عليه السلام) في هذا المقطع من الخطبة يعرض بمن تصدى لاصدار الاحكام في هذه الامة وعمل براهيه اذا اعوزه الدليل مع جهله المطبق بالنصوص والروايات حيث يصف (عليه السلام) من هكذا شأنه بانه يذروا الروايات انراء الرياح للهشيم اي انه بعيد عن فهم الروايات والاخذ بما فيها، بل لا يستند فيما يحكم فيه الى مصادر التشريع بل جعل من نفسه ورأيه حكماً مع انه يعلم انه جاهل فيما بينه وبين نفسه: (جاهل خباط جهالات . عاش ركاب عشوات لم يعرض على العلم بضرر قاطع يذري الروايات انراء الريح الهشيم . لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه . ولا هو أهل لما فوض إليه. لا يحسب العلم في شئ مما أنكره \* ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره . وإن أظلم أمر اكنتم به لما يعلم من جهل نفسه . تصرخ من جور قضائه الدماء . وتعج منه المواريث إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته. ولا سلعة أنفق بيعا ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرف عن مواضعه . ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر)<sup>86</sup>

83 نهج البلاغة: 51/1/ خ

84 نهج البلاغة: 46/1/ خ 15

85 نهج البلاغة: 52/1/ خ

86 المصدر السابق

ومما حفظ التاريخ من الاحكام التي ردها امير المؤمنين (عليه السلام) ما جمعه السيد محسن الامين العاملي (قدس سره) في كتاب عجائب قضايا امير المؤمنين (عليه السلام) التي حفظت جزءاً من التاريخ الفقهي لامير المؤمنين (عليه السلام) خاصة في الفترة التي تليت عصر النبي (صلى الله عليه واله) وكيف انه (صلوات الله عليه) كان يبين الاحكام الصحيحة ويرد الاحكام الباطلة التي كان يصدرها من تصدى لقيادة الامة وزعامتها، فما تقدم عن نهج البلاغة في ذم الجهلة بالاحكام والمتصدين بغير حق لم يكن موجهاً لحالة افتراضية تقع مستقبلاً بل كان النقد فيه موجهاً لحالة موجودة سبقت ايام حكمه (صلوات الله عليه) وعاصرت حكمه ودامت بعد حكمه.

#### 4. اعتماد الثقافة الاسلامية الخالصة

تقدم ان الثقافة الاسلامية الخالصة تقتضي ان تكون المرجعية في الامة بعد النبي (صلى الله عليه واله) لخصوص المعصومين من اهل بيته (عليهم السلام) اللذين ذكرتهم اية التطهير ونص عليهم النبي (صلى الله عليه واله) في حديث الثقلين وغيره من النصوص الواردة عنه (صلى الله عليه واله) ، ولذا عمد القرشيون اللذين استشعروا خطورة الثقافة الاسلامية الخالصة على مستقبل زعامتهم الى ازواء المباني الحضارية الاسلامية، وحيث ان المجتمع بطبعه متعطش للمعلومة خاصة الاجيال الجديدة لذا قررت العصاة القرشية الاستعانة ببعض مسلمي اهل الكتاب لنقل قصص العهدين لاجيال المسلمين، ولم تسمح السلطة القرشية لأحد ان يتبنى مسألة التتقيف الا بتعيين منها فاستعانوا بكعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم، وقد تطورت هذه الحالة فيما بعد لما عرف بالحكواتي في بعض المجتمعات كتطور لقصاصي اهل الكتاب لتحل قصص زيد الهلالي وعنتر العبسي وامثالها من القصص لتسرد على ابناء المجتمع بعد ان انتهى دور قصاصي مسلمة اهل الكتاب في المساجد ومعاهد التعليم.

لقد عمل القصاصون ايام عمر وعثمان في المسجد النبوي وغيره من المساجد المهمة حتى جاء عهد امير المؤمنين (عليه السلام) فطردهم شر طردة فلحقوا بالشام، واستقروا عند معاوية الوريث الطبيعي للمنهج القرشي بل احد اهم مؤسسي ذلك المنهج.

تصدى امير المؤمنين (عليه السلام) وخلص اصحابه لتطهير المجتمع من الثقافة المنحرفة التي روجت لها السلطة وبثها مسلمة اهل الكتاب وتمثل عملهم بمهمتين متوازيتين الاولى تنقية افكار المسلمين من الافكار الدخيلة على الاسلام والثاني بيان المفاهيم الحقة للدين الاسلامي الحنيف، ولعل جملة من الخطب الواردة في نهج البلاغة تثبت ذلك فاول خطبة منه في التوحيد وخلق الملائكة وبعث الانبياء والرسول ومن يلاحظ تلك الخطبة الرائعة في

كل جوانبها يجدها تجيب على الاسئلة التي تتعلق باصل خلق الكون بما فيه من سماوات وارضين وكواكب ونجوم وخلق الملائكة وخلق ادم وبعث الانبياء (عليهم السلام) والختم ببعثة النبي (صلى الله عليه واله) فهي تجيب عن كل الاسئلة التي تتعلق بالجانب العقائدي بعبارة جمعت بين الرقي الادبي والدقة العلمية والثراء الفكري الذي من يقف على كنهه يزول عنه ما ولده الفكر المنحرف لقصاصي التوراة في المجتمع المسلم، فما ورد في هذه الخطبة العصماء هو جمع لكل المعاني التي وردت في القرآن الكريم وما جرى على لسان النبي (صلى الله عليه واله) من بيان حقائق ما وراء الطبيعة بعبارة جامعة تظهر العقول مما علق بها من روايات التجسيم ونزول الرب وجلوسه على العرش التي دسها قصاصوا العهدين في فكر المجتمع المسلم والتي تسببت في خلل فكري ومنهجي لا يزال اتباع مدرسة قريش الى اليوم يعانون منه لاعتقادهم بقدسية تلك النصوص مع انها لا تتسجم مع دلالات الايات المحكمة من الكتاب العزيز، وتنفيها النصوص الصحيحة الواردة عن النبي (صلى الله عليه واله) واهل بيته (عليهم السلام).

#### 5. اعتماد مبدأ المساواة بين المسلمين

كانت سيرة النبي (صلى الله عليه واله) التسوية بين المسلمين في كل ما لا تمايز فيه بينهم، وكان (صلى الله عليه واله) كأحدهم في كل شيء، لا يتميز عنهم الا بما اختصه الله تعالى به، فكان من يأتي مجلسه (صلى الله عليه واله) في مسجده لا يعرفه من بين الجالسين، اذ لم يكن شئ يميزه عن جلسائه ليدل عليه.

كما انه في العطاء من بيت المال كان يأخذ كأحد المسلمين لا يتميز عنهم بزيادة، وفي مقام القضاء والمنازعات كان لا يميز نفسه عن المسلمين مع انه النبي المعصوم وقصه سواده وخزيمة ذو الشهادتين من اوضح الواضحات في انه في تطبيق القوانين لا يميز ذاته المقدسة عن غيره من العباد<sup>87</sup>.

فعلى صعيد العطاء والمظهر وتطبيق القانون كان (صلى الله عليه واله) يتعامل كواحد من ابناء الامة لا يتميز عنهم بشيء.

وعندما تصدت قريش لقيادة الامة كان اول ما عملته تعطيل القضاء في الكثير من الموارد ومنحت السلطة لنفسها حق القضاء والتشريع فلم تطبق احكام الشرع على خالد بن الوليد بما فعله في بني يربوع من انتهاك اعراضهم وقتل رجالهم وسبي نساءهم واتلاف اموالهم، وحكمت

<sup>87</sup> روضة الواعظين: 73، مناقب ال ابي طالب: 202/1، البحار: 509/22، الدر النظيم: 193، مسند احمد بن حنبل: 216/5، سنن النسائي: 302/7، السنن الكبرى للبيهقي: 66/7

بحرق قطري بن فجاءة مع انه لم يرد في حكم الاسلام الحرق، وصادرت اموال فاطمة (صلوات الله عليها) ظلماً وعدواناً، وكان الحاكم يدور بדרته في الاسواق يضرب من يشاء ويعاقب من يشاء وكتم الانفاس وقهر الناس وميز بين الناس في العطاء حتى وصف امير المؤمنين (عليه السلام) تلك الحقبة: (فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها . ويكثر العثار فيها . والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم . وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض . فصبرت على طول المدة وشدة المحنة . حتى إذا مضى لسبيله . جعلها في جماعة زعم أي أحدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا)<sup>88</sup>

ثم يضيف (صلوات الله عليه) الى تقييمه للاوضاع التي سادت بلاد المسلمين ايام هيمنة بني امية على شؤون الدولة بقوله (الى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه . وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث قتله . وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته)<sup>89</sup>

فكانت الفترة التي تلت ايام النبي (صلى الله عليه واله) فترة البعد عن السيرة النبوية العطرة، فجاء امير المؤمنين (عليه السلام) ليعيد لتلك السيرة رونقها الخاص وعبق عطرها الفواح الذي يداعب المشاعر الانسانية التواقة الى العدل والانصاف والاحسان ومكارم الاخلاق والقيم المثلى والاخلاق العليا، ليطلق (صلوات الله عليه) لمبدأ المساواة بين الجميع امام الشريعة فلا يميز احد على احد الا في ضوء الاسس التي اقرتها الشريعة الالهية.

فمن مصاديق ذلك مارواه الحلبي ، عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) ، قال : " قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) لعمر بن الخطاب : ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفتك ما سواهن ، وإن تركتهن لم ينفعك شيء سواهن . قال: وما هن يا أبا الحسن ؟ قال : " إقامة الحدود على القريب والبعيد ، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط ، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود. " قال عمر : لعمرى لقد أوجزت وأبلغت)<sup>90</sup>

ففي هذا النص الموجز يؤكد امير المؤمنين (عليه السلام) على مبدأ التساوي في الحقوق والواجبات بين ابناء المجتمع المسلم، وان المرجع في كل شيء هو القرآن الكريم، وبتعبير اخر

88 نهج البلاغة:1/33/3خ

89 نهج البلاغة:1/35/3خ

90 الوسائل:6/227ح7ر247عنه دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة:2/192

ان السلطان ليس له من ميزة على غيره سوى كونه الامين على تطبيق الاحكام واقامة الشريعة، فخلاصة هذه الامور الثلاث عدم التمايز بين ابناء المجتمع امام القانون الاسلامي، وان المرجع التشريعي هو القران الكريم وان الحاكم هو المطبق لاحكامه وليس مرجعاً تشريعياً في عرضه، والمساواة في الحقوق بين ابناء المجتمع المسلم، ولم يكن ذلك من امير المؤمنين (عليه السلام) مجرد دعوة عندما كانت السلطة في يد غيره بل طبقها تطبيقاً عملياً حياً عندما تولى الحكم وقصة اقامة الحد على النجاشي الشاعر - وهو ممن شهد صفين مع امير المؤمنين (عليه السلام) - خير شاهد على ذلك<sup>91</sup>، ومثله حضور امير المؤمنين (عليه السلام) مجلس القضاء مع خصمه في قضية الدرع<sup>92</sup>.

وكان (عليه السلام) لا يجامل في حفظ حقوق الامة والانكار على من تسول له نفسه ان يتصرف باموال المسلمين بغير حق وقد روي في نهج البلاغة انه انب وهدد احد عماله لغارته على بيت المال واستخلاص المال لنفسه وقيام احد العمال ببذل المال لاعراب قومه<sup>93</sup> ولما عوتب (عليه السلام) على التسوية في العطاء الامر الذي جعل زعماء القبائل يبتعدون عنه وهم قد اعتادوا على التمييز بينهم وبين غيرهم ايام عمر وعثمان فقال (عليه السلام): (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟ والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجما. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله! ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله. ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم، فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشر خدين وألأم خليل)<sup>94</sup>

بل زاد (عليه السلام) على ذلك انه عاتب عثمان بن حنيف الانصاري (رضوان الله عليه) لانه اجاب دعوة شاب من اهل البصرة لمأدبة دعي اليها الاثرياء ولم يدع اليها الفقراء، فانه (عليه السلام) كان يرى ان اجابة مثل هذه الدعوة لا تصح من شخص له فضل عثمان بن حنيف (رضوان الله عليه) المنتسب في ولائه ومحبته واتباعه له (صلوات الله عليه)<sup>95</sup>.

ولم يقف الامر عند المساواة بين المسلمين بل كان (عليه السلام) يأمر بالتعامل بالحسنى مع الجميع وان كان من اهل الذمة او المعاهدين وقد مر الاشارة الى قضية حضوره مجلس القضاء

91 مناقب ال ابي طالب:408/1 وانظر دراسات في ولاية الفقيه:193/1 عن البحار عن المناقب، البحار:9/41

92 المناقب:273/1، البحار:56/41، دراسات في ولاية الفقيه:194/1

93 انظر نهج البلاغة ج3ص65 الكتب 40و41و43

94 نهج البلاغة:126/6/2

95 نهج البلاغة:45ك/67/3

في قضية الدرع مع يهودي، وقد اوصى (عليه السلام) مالك الاشرع عندما ولاه مصر: ( واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتتم اكلهم، فانهم صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)<sup>96</sup>

## الخاتمة

خلاصة ما تقدم في البحث ان الدين الاسلامي الحنيف جاء بنظام اجتماعي متكامل، ضمن اسس ذلك النظام الاجتماعي آيات القران الكريم والسيرة النبوية العطرة، وان ضمانته نجاح اي مشروع تتقوم بثلاثة امور:

الاول: النص المثبت لذلك النظام الذي يشكل دستوراً للعمل على طبقه.

الثاني: الجهة المشرفة على تطبيق ذلك النظام والتي لها اطلاع تام وواضح ومهيمن على تفاصيل ذلك النظام.

الثالث: المجتمع الذي تقع على عاتقه مسؤولية تطبيق ذلك النظام واسناد الجهة المشرفة على التطبيق.

ومن ثانياً البحث تبين ان المجتمع المسلم لم يكن مؤهلاً للقيام بوظيفته الاجتماعية على الرغم من مضي عشر سنوات من عمر الدولة النبوية المباركة، والسبب في ذلك يعود الى ضعف الادراك المجتمعي لدى المسلمين وهيمنة النوازع الذاتية عليهم، الامر الذي مكن قريش من السيطرة على مقاليد الحكم بعد النبي (صلى الله عليه واله) واقضاء امير المؤمنين (عليه السلام) على الرغم من تظافر النصوص القرآنية والسيرة العملية والقولية للنبي (صلى الله عليه واله) على ان الامر بعده للمعصومين (عليهم السلام) الذين يبتدأون بعلي (صلوات الله عليه) وينتهون بالمهدي (عجل الله فرجه الشريف).

فالخلل اذن بمجمله يقع في جانب الامة وهي المسؤولة مسؤولية مباشرة عما الت اليه الامور بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله) وعن التسبب في تمكين القوى المنحرفة في الوصول الى ادارة الدولة فلم يمض على وفاة النبي (صلى الله عليه واله) الا ايام معدودة حتى ارتكبت اوضاع الجرائم واقبح الافاعيل في مختلف بقاع الدولة ابتداء من الهجوم على دار علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) الى تصفية المخالفين وتبديل الاحكام والمنع من تدوين السيرة النبوية

<sup>96</sup> نهج البلاغة: 84/3:ك53

والتأسيس لعصمة الحاكم وابتداع مشرعين في عرض القران والسنة ... والى ما يعانیه المجتمع المسلم اليوم من اثار ما ارتكب بالامس، ويمكن تقسيم الاتجاهات الاجتماعية بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله) الى:

- 1- القوى الاجتماعية الطامحة الى السيطرة على السلطة وكان لهم ذلك بفعل عدم ايمانهم بالنظام الاجتماعي الاسلامي، ورغبتهم في السيطرة على مقاليد السلطة.
- 2- القوى الاجتماعية المتخاذلة التي عرفت الحق ولم تتصره.
- 3- القوى الاجتماعية التي اعطت لنفسها الحق في الوقوف في وجه المؤامرة القرشية لكن لا اساس المضي على ضوء ما اوصى به النبي (صلى الله عليه واله) من اتباع من عينهم للاشراف على شؤون التطبيق العملي لمنهاج الشريعة، بل على اساس تصديهم هم لذلك الدور.
- 4- القوى المؤمنة بالمشروع الالهي والتي اصرت على المضي فيه مهما كلفهم ذلك من تضحيات وهم ال بيت النبوة (صلوات الله عليهم) وخلص اصحابهم، ابو ذر والمقداد وعمار وسلمان رضوان الله عليهم.

ومن خلال السيرة النبوية نجد ان النبي (صلى الله عليه واله) لم يكن حريصاً على التأسيس لوصول امير المؤمنين (عليه السلام) الى سدة الحكم مهما كانت النتائج بل كان يعمل على بناء الامة على قبول امير المؤمنين (عليه السلام) لما يتحلى به من خصال لا تتوفر في اي شخص اخر من المسلمين تجعله مؤهلاً للقيام بدور الحافظ للشريعة والمشرف على تطبيقها تطبيقاً صحيحاً، وهذه كانت مسؤوليته النبوية، ومسؤولية الامة النهوض بواجبها في تمكين امير المؤمنين (عليه السلام) من الوصول الى سدة الحكم للقيام بوظيفته الالهية، اي ان وصول امير المؤمنين (عليه السلام) الى سدة الحكم ينبغي ان يكون كوصول النبي (صلى الله عليه واله) الى سدة الحكم في المدينة المنورة، حيث قام الانصار بواجبهم تجاه النبي (صلى الله عليه واله) ومكنوا له قيادة القبائل المدينة وكانوا له رعية مطيعين، الا ان هذا الدور المحوري للانصار زال بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله) ولم ينهضوا بما يحتمه واقع الطاعة لله ورسوله، ولم يتلقتوا الى خطئهم الا بعد مضي اكثر من عشرين سنة، عندما تحول ذلك الدور الى ابناء البصرة والكوفة ومصر وهم من ابناء القبائل العربية التي هاجرت من اليمن وجزيرة العرب الى تلك الامصار وعرفت بعد مدة من الزمن موقع امير المؤمنين (عليه السلام) في المنهج الالهي فبايعته بعد زوال الموانع وبذلت انفسها معه في الجمل وصفين والنهروان، الا ان المرض الذي اصاب المجتمع المدني في اخريات حياة النبي (صلى الله عليه واله)

اصاب المجتمع الكوفي وتمكنت قريش مرة اخرى من السيطرة على مقاليد الحكم، لكنها هذه المرة بالنسخة الاموية الخالصة، التي شرع بها عثمان في النصف الثاني من حكمه واشاد ببنائها معاوية بن ابي سفيان بعد ان انهارت الكوفة امامه واسلمت له زمام الامور كما اسلمت الانصار زمام الامور لقريش في سقيفة بني ساعدة.

ومن هنا نفهم ايضا ان امير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن في صدد التأسيس لبقاء ابنائه في الحكم مهما كلف الامر بل بين للامة واوضح لها وكشف عنها غطاء الجهل والجاهلية، الا ان الانتكاسة التي كانت في الامة ادت الى تسلط معاوية على مقدرات المسلمين.

من مجموع البحث يمكن ان يستشف ان المنهج النبوي والمنهج العلوي كان يصب في حصيلة واحدة هي بناء المجتمع ليكون مؤهلاً لقبول الحق والعمل على طبقه، وان كل مرحلة من البناء تواجهها العديد من التحديات الداخلية والخارجية على الصعيدين الشخصي والاجتماعي، وتعمل تلك التحديات على تحقق انتكاسة اجتماعية لكنها تفرز ظهور نضج اجتماعي في حدود معينة وعند افراد مميزين لا تلبث ان تتحول الى مسار اجتماعي يولد ثورات اجتماعية على الاصعدة المختلفة سياسيا وامنيا واقتصاديا وفكريا.

وما نعيشه اليوم من انتشار قيم امير المؤمنين (عليه السلام) في مختلف بقاع الارض دليل على نجاح الدعوة النبوية والمنهجية العلوية في بناء المجتمع الصالح الذي سيعم نمودجه العالم الانساني وستعم مبادئ تلك الدعوة وذلك النهج العالم الانساني في ظل الدولة المهدوية المباركة.